

نام كتاب: الإمام زين العابدين، على بن الحسين «عليه السلام» صفحة من دوره الثقافي و جهاده السياسي

پديدآور: يوسفى غروى، محمدهادى

موضوع: سيره و حديث

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ص: ۷

مقدمه المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي تجسّد الإسلام المحمّدى الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة

فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا

إنّ هذه المدرسة الثرة والوضاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وإرشادات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) وليد هذا التغيير المبارك فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئى (مدّ ظلّه الوارف) فى عام ١٩٩٠ م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليّة فى مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت (عليهم السلام).

إنّ المعاونة الثقافية للمجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) وفى سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وترصين دعائم البيت الشيعى، قامت بتأليف الكتب وإصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفى شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولى للإمام على بن الحسين السجّاد (ع).

وهنا أرى لزماً على أن أقدم شكرى للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام

ص: ۸

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) سماحة الشيخ محمدحسن الاخترى (دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان على درى نجف آبادى، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمى للإمام السجاد (ع). وسماحة الشيخ محمد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمدهادى اليوسفى الغروى، السيّد محمدرضا الحسينى الجلالى، السيّد محسن الحسينى الأمينى، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميدرضا المطهرى، الشيخ رمضان المحمّدى، السيّد محمدرضا آل أيوب، والشيخ عباس الجعفرى مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمى للإمام السجاد (ع).

وكذلك نشكرُ الكتاب والمترجمين والمقيمين: سماحة آية الله الشيخ محمدمهدي الآصفى، الشيخ قيس بهجت العطار، السيّد راضى الحسينى، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدى، السيّد محمد المروّج، عبدالكريم الكرمانى، محمدعلى معينيان، محمدجواد الخرسندى، حسين الصمدى، حسين الصالحى، قاسم البغدادى، جواد الجعفرى، وبرويز الكاظمى، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة وإعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام).

نجف لك زايب

معاون الشؤون الثقافية

ص: ٩

المقدمة: الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية لحياة الإمام زين العابدين (ع)

يتلخّص منهج السياسة الأموية في تمكين آل أمية من فرض سلطانها على العالم الإسلامى، ومكافحة كلّ حالات الإعتراض المسلّحة والسياسية ... في كلمتين: الإرهاب والإفساد.

وواقع هذه السياسة هو معاوية بن أبى سفيان مؤسس هذه السلسلة، وورث يزيد بن معاوية هذه السياسة المزدوجة في تمكين بنى أمية من الحكم من أبيه، وبالغ في استخدام العنف والإفساد، وكان من أبرز حالات العنف والإرهاب في فترة ولايته - رغم قصرها - فاجعة كربلاء، ثمّ مأساة الحرّة، ثمّ إحراق الكعبة المشرفة في ثلاث سنوات متواليات، تولّى فيها الحكم من بعد أبيه.

وأمعن في الإفساد والفساد، وممارسة المجون والخلاعة، والشرب، وانتهاك حرّيات الله حتى ضجّ منه الوفد الذى قصده من أبناء الصحابة من المدينة إلى قصره في الشام.

ورغم بشاعة الجرائم التى ارتكبها يزيد بن معاوية بعد أبيه من العنف والإرهاب والفساد والإفساد في الشام والعراق والحجاز ... حتى آل الأمر إلى شهادة الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأنصاره بتلك الصورة المفجعة، وانتهاك حرمة مدينة

رسول الله (ص)، ومصرع الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين بجوار الحرم النبوي، ورغم تظاهر الخبيث بانتهاكه حدود الله وحرماته في قصره أمام

ص: ١٠

المسلمين، ولمّا يمرّ على وفاة رسول الله (ص) صاحب الرسالة، غير خمسين عاماً فقط.

أقول: رغم ذلك كلّ لم يحدثنا التاريخ بثورات وانتفاضات شعبية واسعة تجاه السياسة الأموية في الإرهاب والإفساد اللذين تمّا تم على عهد معاوية وابنه يزيد .. لم يحدث شيء من هذا القبيل يومئذ في الحجاز والعراق والشام، غير حركة الإعتراض المسلّحة التي قادها المختار الثقفي (رحمه الله) بعد هلاك يزيد في الكوفة، والثورة المسلّحة المحدودة التي قادها التوابون في العراق.. وأمّا فاجعة الحرّة وما ارتكب يزيد بن معاوية فيها من الجرائم، فلا نعرف لها صدى وردود فعل واسعة في الأوساط الإسلامية يومئذ في العراق والشام والحجاز ومصر وغير ذلك من الأقاليم الإسلامية، غير اعتراضات محدودة جداً في العراق والحجاز.

ويحار الإنسان في تفسير هذا السكوت المطلق من قبل المسلمين عن جرائم بني أمية يومئذ..

ولا تشير المدونات التاريخية التي أرّخت هذه الفترة إلى تفسير هذا السكوت والقيود عن الإعتراض تجاه سياسة بني أمية.

كما لا نجد في المؤرّخين المحدثين الذين يؤرخون هذه الفترة المعتمّة من التاريخ الإسلاميّ من يحاول أن يفسّر هذا السكوت المطلق للمسلمين عن الإعتراض على بني أمية والقيود عن مقاومتهم.. رغم أنّ التحليل والتفسير والنقد العلمي تُعدّ جزءاً أساسياً من مسؤوليات المؤرّخ اليوم، رغم ذلك لم نقرأ في الأبحاث التاريخية المعاصرة تفسيراً لهذه الظاهرة الملفتة للنظر في تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

نحن نعتقد - في تحليل هذه الظاهرة - أن السياسة الأموية في الإرهاب والإفساد حققت نجاحاً واضحاً منذ ولادة معاوية، في ترويض العالم الإسلاميّ

ص: ١١

يومئذ على السكوت عن الإعتراض على سياسات بني أمية، وإيثار العافية على مواجهة عمال بني أمية.

ولقد كان بنو أمية يتوقعون الإعتراضات المسلّحة والسياسية من الحرّمين الشريفين في الحجاز، حيث يعيش أبناء الصحابة والتابعين، كما حدث ذلك في المدينة المنورة، بعد شهادة الإمام الحسين (ع) وأنصاره (رضوان الله عليهم).

ويُعجّب الإنسان عندما يقرأ منهج بني أمية في تطويع الحرّمين الشريفين في مكّة والمدينة للسياسة الأموية بالعنف والإفساد، فلقد بلغ العنف والقمع والإرهاب والذبح في الصحابة وأبنائهم والتابعين في المدينة على يد مسلم (مسرف) بن عقبة حدّاً لم يكن يتصوره أحد.

وبلغ الأمر في القضاء على حركة عبد الله بن الزبير الذي أراد أن ينتزع السلطة من آل أمية وينقلها إلى آل الزبير، أنّ الجيش الذي كان يحاصر الحرم المكيّ الشريف أحرق الكعبة الشريفة بالمنجنيق.

وبلغت سياسة الإفساد في الحرمين الشريفين أن آل أمية أدخلوا الغناء والطرب إلى الحرمين الشريفين وأشاعوا اللهو والفساد والطرب والغناء فيهما بشكل واسع، وطلبوا لهما المغنيين والمغنيات والمطربين والمطربات من شتى أقاليم العالم الإسلامي بمبالغ باهظة من بيت المال، وكانت ليالي البيض في (منى) حيث يجتمع الحجاج من أطراف العالم الإسلامي، ليشهدوا منافع لهم.. ندوات ساهرة عامرة بالغناء واللهو.. وتكفي قراءة بعض ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني) وغيره من الذين أرخوا هذه الفترة، لتعرف عمق المأساة التي حلت بالمسلمين يومئذ على يد آل أمية في إشاعة اللهو والفساد في الحرمين الشريفين، ليأمنوا جانبيهما في الاعتراض على سلطان بني أمية وولايتهم على المسلمين.

ص: ١٢

يقول أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (إن الغناء في المدينة، لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم) ١.

ونقرأ في (الأغاني) أيضاً: أن فقهاء كباراً في المدينة كانوا يغنون ولهم أصوات يذكرها أبو الفرج في الأغاني لا نسميهم إكراماً لهم، لكن بوسعك أن تقرأ أخبارهم في (الأغاني لأبي الفرج) ٢.

وبلغ الأمر أن أهل الحجاز عامة كانوا يجيزون الغناء ٣.

واتخذ عروة بن الزبير قصراً بالعقيق (وادي على مقربة من المدينة) فقال له الناس قد جفرت عن مسجد رسول الله (ص). قال إنني رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية ٤.

وقال أبو يوسف لبعض أهل المدينة ما اعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني: ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها ٥.

وكان إذا سال العقيق لا يبقى في المدينة مخبأه (مخدرة) ولا شاب ولا شابة ولا كهل إلا خرج إلى العقيق لسمع الغناء ٦.

وأصبحت المدينة المنورة مركزاً متميزاً لتعليم الجوارى الغناء ٧.

ولم يحدث هذا التركيز على إشاعة الغناء والطرب في الحرمين الشريفين إلا بتخطيط وسعي من بني أمية لإفساد الناس في الحرمين الشريفين وإسقاطهما في نظر عامة المسلمين.

ص: ١٣

وإذا كان الحرمان الشريفان بهذه المثابة فما بالك بسائر أقطار العالم الإسلامي من مصر والعراق وإيران والشام؟

١ (١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: ٨ / ٢٢٤ (دار الكتب).

٢ (٢) الأغاني: ١ / ١٨٦ و ١ / ٤١٩ و ١ / ٤٢٠ (ترقيم المكتبة الشاملة).

٣ (٣) عقد الفريد: ٢ / ٣٩٠ (ترقيم المكتبة الشاملة).

٤ (٤) تاريخ دمشق: ٤٠ / ٢٨٠.

٥ (٥) العقد الفريد: ٣ / ٢٣٣.

٦ (٦) العقد الفريد: ٣ / ٢٤٥.

٧ (٧) اعلام الهداية: ٦ / ١٠٧ عن الأغاني: ٢ / ٣، ٢٢٦ / ٤، ٣٠٧ / ٦، ٢٢٢ / ٧، ٢١ / ٣١٦، ٨ / ٣٣٢، ٥٧، ١٠، ٢٢٧ وكتاب الشعر والغناء في مكة والمدينة: ٢٥٠.

هذه السياسة المزدوجة من (الإرهاب) و (الإفساد) آتت ثمارها التي كان يسعى إليها آل أميَّة في تمكينهم من السلطان في العالم الإسلاميّ الواسع يومئذ..

المعارضة الشيعيَّة:

وكانت المعارضة الوحيدة التي صمدت بوجه بني أميَّة في هذه الفترة هي المعارضة الشيعيَّة .. فلم يتمكن بنو أميَّة أن يروّضوا هذه المعارضة لسياساتهم.

ورغم كلِّ الوسائل التي استخدمها بنو أميَّة في تذليل هذه العقبة وتطويع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال الإرهاب والإفساد، لم يتمكنوا من القضاء على هذه المعارضة.

أمَّا المعارضة الخارجيَّة (الخوارج)، فلم تقاوم الإرهاب الأمويّ طويلاً، فقد كانت حركة الخوارج حركة انتحاريَّة انفعاليَّة، شعاريَّة، غير عقلائيَّة، ولا تملك خطَّة مدروسة لمواجهة بطش بني أميَّة، وسلطانهم، وإفسادهم.

ولذلك لم يتمكن الخوارج من أن يقاوموا بني أميَّة طويلاً، وسرعان ما انتهت هذه الحركة، ويكاد أن يختفى دورهم في التاريخ الإسلاميّ، بعد البطش الذي مارسه الحجاج ضدهم.

أمَّا حركة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم فكانت حركة متميِّزة بالعقلائيَّة والحزم والسريَّة والكتمان الشديد والتقيّد وتجنّب الانفعال والطيش.

وقد كان الإمام زين العابدين (ع) يطلب من شيعته أن يتجنّبوا حالة الطيش والنزق وقلة الكتمان، التي كان يعرفها عند بعض الناشئين من شيعته، فيقول (ع):

وددت والله أنّي أفنديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدى: النزق، وقلة الكتمان^٨.

ص: ١٤

لقد كان أهل البيت (عليهم السلام)، يؤكّدون لشيعتهم دائماً ضرورة ضبط النفس، والكتمان والتقية، والتعقل، والتروى، والتخطيط المرحلي لمواجهة طيش بني أميَّة.. في الوقت الذي كانوا يحرصون على إعلان المقاطعة لهم، ورفض التعاون مع الظلمة، والبراءة منهم وتحريم دعمهم والتعاون معهم بأى شكل من الأشكال.

هذه السياسة الحازمة العقلائيَّة في معارضة الحكم الأموي حفظت شيعة أهل البيت على خط المعارضة. وإن لم نقل أنّها كانت هي المعارضة الوحيدة في الساحة السياسيَّة يومذاك، فقد كانت هي المعارضة الأقوى والأشد على النظام الأمويّ.. منذ أيام الإمام الحسن (ع) في عهد معاوية إلى نهاية العهد الأمويّ.

ولهذا السبب فقد أمعن بنو أميَّة في محاربة شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وملاحقتهم، واستئصالهم، والتضييق عليهم، وسجنهم، وقتلهم، وقطع أرزاقهم.

وكانت هذه الفترة من حكم بني أميَّة من أشق فترات التاريخ على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم.

يقول ابن أبي الحديد، وهو ممن أرّخ هذه الفترة:

(ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين (ع)، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه حتى المتظاهرين بالنسك والصلاح والدين ببغض علىّ وموالاة أعدائه وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا من الرواية في فضيلتهم (أى بنى أمية) وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من على (ع) وعيبه والطنعن فيه، والشنآن له) ٩.

لقد بالغ بنو أمية في ملاحقة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وتصفييتهم ونشر الرعب فيهم، وبشكل خاص في العراق، فقد كان العراق معروفاً بكثرة الشيعة.

ص: ١٥

وقد عاش الإمام الباقر (ع) هذه الفترة الصعبة من اضطهاد شيعته، والتضييق عليهم واستئصالهم.. يقول (ع)، كما يروى ذلك عنه ابن أبي الحديد، فى شرح النهج:

(ثمّ لم نزل أهل البيت، نُستذل ونستضام، ونُنقص ونُمتن، ونُحرّم، ونُقتل، ولا نأمن على دماننا ودماء موالينا، ووَجَد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاء السوء، وعمال السوء، فى كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (ع)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (ع)، ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلّة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علىّ) ١٠.

يقول ابن الأعمش (المتوفى سنة ٣١٤ هـ) فى كتابه الفتوح، فيما ارتكبه زياد بن أبيه أيام معاوية من قتل الشيعة وملاحقتهم واستئصالهم:

(وجعل زياد يتتبع شيعة علىّ بن أبي طالب، فيقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، وجعل أيضاً يغرى بهم معاوية، فقتل منهم معاوية جماعة، وفيمن قتل حجر بن عدى الكندى وأصحابه، وبلغ ذلك الحسن بن على (ع) فقال:

اللهم خذْ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه، وأرنا فيه نكالا عاجلا ١١.

ص: ١٦

ويقول المدائنى فى هذه الفترة وعن ولاية زياد بن أبيه عامل معاوية على الكوفة:

٩ (١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٠ (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤. وروى المجلسى هذا النص عن ابن أبي الحديد فى البحار: ٦٨ - ٦٩.

١١ (٢) الفتوح لابن الأعمش: ٤ / ٢٠٣، ط حيدر آباد.

(وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على (ع)، فاستعمل معاوية عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام على (ع)، فقتلهم تحت كل حجر).

ويروى الطبري القصة التالية عن أسلوب زياد في استئصال الشيعة في الكوفة.

وخلاصة هذه القصة: (إن زياداً لما مات المغيرة وأنيطت به ولائته الكوفة جاء إلى الكوفة، وصعد المنبر، وخطب في الناس، فحُصِبَ وهو على المنبر.. يقول الطبري: فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً من خاصته، وأمرهم فأخذ أبواب المسجد، ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه، ولا يقولن لا أدري من جليسي).

ثم أمر بكرسى فوضع له باب المسجد فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان (١٢).

المحور السياسي والثقافي في سيرة الإمام زين العابدين (ع):

بعد أن استعرضنا على نحو الإجمال الحالة الاجتماعية والسياسية للفترة الزمنية التي عاشها الإمام زين العابدين (ع)، نتحدث عن الدور الذي نهض به الإمام السجاد (ع) في مواجهة هذا الواقع السياسي والاجتماعي.

ص: ١٧

وتتنظم سيرة الإمام زين العابدين (ع) بعد عودته إلى المدينة من رحلة الشهادة والتضحية في كربلاء ... بمجموعة محاور، أهمها بقدر ما يتعلق بموضوع بحثنا:

١- المحور السياسي في طريقة تعامله (ع) مع حكومة بني أمية وعمّالهم وأعوانهم.

٢- المحور التربوي في بناء الجماعة الصالحة.

وهذان المحوران هما أهم النقاط التي نريد أن نتحدث عنها في هذه الرسالة إن شاء الله.

ص: ١٨

١- المحور السياسي في منهج تعامل الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) مع حُكّام بني أمية

ص: ٢٠

حول هذا المحور نتحدث عن نقطتين مهمتين في موقف الإمام زين العابدين (ع) من حكومة بني أمية وعمّالهم وأعوانهم في البلاد:

أ- موقف الإمام من الخروج والثورة المسلّحة ضدّ حكامّ بنى أميّة وعمّالهم في البلاد.

ب- إعلان المقاطعة السياسيّة والمعارضة لحكامّ بنى أميّة، ونفى شرعيّة حكومة بنى أميّة، والنهي عن التعاون معهم. وسوف نتحدّث عن هاتين النقطتين بإيجاز إن شاء الله.

ص: ٢١

أ- موقف الإمام (ع) من الثورة المسلّحة

لقد علم بنو أميّة أن شيعة على (ع) هم المعارضون السياسيّون الصلبون ضدّ حكمهم.. وبإمكان هذه المعارضة أن تستقطب ثقة الناس ودعمهم ومشاركتهم ما لا تستطيعه أيّة جماعة معارضة أخرى.

وكان الخوارج يومذاك يحسبون في عداد المعارضات السياسيّة القويّة لحكامّ بنى أميّة، إلا أنّ المعارضة الخارجيّة كانت حركة انتحاريّة، انفعاليّة، في التعامل مع الساحة السياسيّة والأحداث كما قلنا، وهذه الحالة الانفعاليّة وغير العقلانيّة في تكفير المسلمين وقتلهم بصورة عشوائيّة، أدّت إلى تصفيتهم من قبل حكامّ بنى أميّة، وعمّالهم كالحجّاج بن يوسف الثقفي، وغابت هذه الحركة عن الساحة السياسيّة في أواسط العصر الأمويّ تقريباً، ولم تعد هذه الحركة تقلق حكامّ بنى أميّة.

ولم يكن أمر المعارضة الشيعيّة كذلك، فقد كانت هذه المعارضة تمتلك جماعة عريضة، وخطّة سياسيّة، وقابليّة على ترحيل العمل السياسيّ، والثورات المسلّحة، وقدرة كبيرة على الاختفاء والكتمان والعمل في السريّة.

لقد اهتزّت دولة بنى أميّة من أقصاها إلى أقصاها بسبب خروج الحسين (ع) ومصرعه، ولم يعد لهذه الدولة الموقع الشرعيّ الذي كان يدّعيه بعنوان خلافة رسول الله (ص)، بعد مصرع الحسين (ع) وأنصاره، في نظر عامّة المسلمين، وكانوا يتعاملون معها، كما يتعاملون مع أيّ حكومة زمنيّة ظالمة ذات قوّة وبطش.. ورغم كلّ الإعلام الأمويّ الواسع فقد دفع آل أميّة ضريبة باهظة بسبب مصرع الإمام الحسين (ع) وأنصاره على أيديهم، ولم يعد بإمكانهم جبر الكسر الذي حدث في سلطانهم في حادث الطفّ.

ص: ٢٢

ومع كلّ هذا الإرهاب والتصفيات الواسعة التي مارسها بنو أميّة تجاه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ... بقي شيعة أهل البيت معارضة سياسيّة قويّة، ومسلّحة أحياناً في وجه بنى أميّة، يهدّدون سلطانهم وملكهم في كلّ حين، رغم كلّ القتل والسجن والمطاردة التي مارسها بنو أميّة بحقّ آل علىّ وشيعتهم.

ولذلك كان بنو أميّة يخطّطون للقيام بتصفية واسعة لشيعّة أهل البيت (عليهم السلام) في العراق والحجاز، والتضييق عليهم في أرزاقهم ومطاردتهم وحبسهم وقتلهم، ومن يقرأ ما حدث لشيعّة الإمام على (ع) في العراق في عهد معاوية، وبعد ذلك، وفي عهد عبد الملك وهشام، وفي ولاية الحجّاج في العراق، لا يتردد في هذه الحقيقة، وقد قرأنا من قبل كلمة الإمام الباقر (ع) في سياسة بنى أميّة في استئصال شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وملاحقتهم، ومطاردتهم، والتضييق عليهم.

لقد عاش الإمام زين العابدين (ع) هذه الفترة الصعبة بعد مصرع أبيه (ع) وأنصاره (رضوان الله عليهم) بكربلاء.

فكان الإمام عليّ بن الحسين (ع) يعمل ما في وسعه لئلا يعطى ذريعة لبنى أميّة وعمّالهم ليمارسوا هذه التصفية السياسية الواسعة التي كان يخطط لها بنو أميّة لشيعة.

وكان الإمام (ع) هو رأس هذا الاستهداف.. وكان بنو أميّة يعلمون جيّداً أن الإمام عليّ بن الحسين (ع) وارث عاشوراء، حضر كربلاء يوم عاشوراء، وحفظه الله تعالى من بطش الظالمين يوم عاشوراء، ليحمل ميراث الحسين (ع) سيّد الشهداء، وأنصاره الشهداء من بعدهم للمسلمين، فكان زين العابدين (ع) يحمل خطاب الشهداء في كربلاء وخطاب سيد الشهداء إلى المسلمين، وكان يشعر بثقل هذه المسؤولية، وكان يسعى لأداء هذا الخطاب أوسع أداء إلى الأجيال، وكان بنو أميّة يعرفون ذلك كلّهم.. وقد لمسوا تأثير هذا الخطاب في مسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، على هيئة أسرى من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام.

ص: ٢٣

الإمام زين العابدين يقيم أوّل مجلس عزاء للحسين (ع) عند مدخل المدينة:

روى بشير بن حذلم وقال: (لَمَّا قَرَبْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حَطَّ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ رَحْلَهُ وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ وَأَنْزَلَ نِسَاءَهُ وَقَالَ: يَا بَشِيرَ رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ لَقَدْ كَانَ شَاعِراً فَهَلْ تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنِّي شَاعِرٌ، فَقَالَ (ع): ادْخُلِ الْمَدِينَةَ وَانْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ بَشِيرٌ: فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَرَكُضْتُ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ (ص) رَفَعْتُ صَوْتِي بِالْبُكَاءِ وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَدْمَعِي مِذْرَارُ

يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ بِهَا

وَالرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى الْقَنَاءِ يَدَارُ

الْجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلَاءَ مُضْرَجٌ

قال: ثمّ قلت: هذا عليّ بن الحسين (ع) مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفّكم مكانه.

قال: فلم يبق في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن، وهنّ بين باكيّة ونائحة ولاطمّة، فلم ير يوم أمرّ على أهل المدينة منه، وسألوه: من أنت؟ قال: فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجّهني عليّ بن الحسين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروني، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي، وتخطّيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسّطاط، وكان عليّ بن الحسين داخلًا فخرج ويده

ص: ٢٤

خرقةً يمسح بها دموعه وخادم معه كرسى، فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزّاه الناس، فأوما إليهم أن اسكتوا، فسكنت فورهم فقال:

الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارء الخلاق أجمعين، الذى بعُدَ فارتفع فى السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب.

أيّها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جليّة وثلمة فى الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسبى نساؤه وصبيته، وداروا برأسه فى البلدان من فوق عالى السنان، أيّها الناس فأىّ رجالات يسرون بعد قتله؟ أيّة عين تحبس دمعها وتضنّ عن إنهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسماوات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

أيّها الناس أىّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أىّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أىّ سمع يسمع هذه الثلمة التى ثلم فى الإسلام؟

أيّها الناس أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين، كأنّا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمانه، ولا مكروه ارتكبناه. ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين. إن هذا إلا اختلاق، والله لو أنّ النبىّ تقدّم إليهم فى قتالنا كما تقدّم إليهم فى الوصاء بنا، لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون(١٣).

إضطهاد وارث كربلاء

لقد كان علىّ بن الحسين زين العابدين (ع) وارث عاشوراء حقّاً، وكان يحمل تراث عاشوراء، وينشره أينما يحلّ ... فقد كان شاهد عاشوراء ووارثه وحامل خطابه.

ص: ٢٥

ولذلك كان يخافه بنو أميّة على ملكهم وسلطانهم ويرصدونه، ويتحينون الفرص به للقضاء عليه وأهل بيته وشيعته، لتخلو الساحة لبنى أميّة من المعارضة الشيعيّة العلويّة.

وكان علىّ بن الحسين (ع) يعى كلّ ذلك، ويحرص ألا يعطى لبنى أميّة هذه الفرصة فى السنوات الثلاث الأولى، على الأقلّ، من عودته إلى المدينة.

فآثر (ع) فى أول وهلة من عودته من الشام إلى المدينة أن يغيب عنها، ويسكن البادية، ويتباعد عن الناس، ليأمن بنو أميّة جانبه، وليرسخ فى نفوسهم أنّ الإمام قد اعتزل (الحضر) و (السياسة) و (المعارضة) ولم يعدّ الإمام تهديداً فعلياً لحكومة بنى أميّة.

يروى ابن أبى قرّة فى (المزار) عن الإمام الباقر (ع)، قال: كان أبى علىّ بن الحسين (ع) قد اتخذ منزله بعد مقتل أبيه الحسين (ع) بيتاً من شعر، خارج المدينة، كراهية لمخالطة الناس.

وكان يسير في مقامه من البادية إلى العراق، زائراً لأبيه وجده (عليهما السلام)، ولا يُشعر بذلك من فعله ١٤.

لقد أبعدت هذه السياسة أنظار بنى أمية فعلاً عن الإمام زين العابدين، وأمنوا جانبه، وحفظ الإمام (ع) بذلك نفسه وأهله وشيعته من بطش بنى أمية برهة من الزمان.

ص: ٢٦

ولقد كانت تلك البرهة، بعد مصرع الحسين (ع) فترة صعبة من أصعب ما مرّ على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وأيّ موقف انفعاليّ في هذه الفترة كان كافياً لاستئصال أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على يد جلاوزة بنى أمية.

ولم يكن لأهل البيت (عليهم السلام) أنصار في تلك الفترة الصعبة في الحرمين الشريفين، يقفون معهم وينصرونهم ... وعن هذه الغربة والانفراد في الحجاز، يقول زين العابدين (ع)، كما في رواية ابن أبي الحديد (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحنّنا) ١٥.

موقف الإمام (ع) من ثورة أهل المدينة (الحرّة):

ونقطة أخرى تلفت النظر في سيرة الإمام زين العابدين (ع) في هذه الفترة، فهي أن الإمام (ع) لم يشترك في ثورة أهل المدينة المسلّحة على بنى أمية، لأن الإمام كان يعلم مآل هذه الثورة من انتهاك حرمة حرم رسول الله (ص)، والمذابح الواسعة التي جرت على يد مسلم (مسرف) بن عقبة (لعنه الله) للصحابة وأبناء الصحابة والتابعين، وانتهاك حرمة النساء في مدينة رسول الله (ص)، ولأن هذه الثورة كان ينقصها التخطيط، ولم يكن قادة الثورة قد خططوا لهذه الثورة وأعدّوا لها عدتها بصورة عقلانيّة.

ولسبب آخر يعادل كلّ الأسباب المتقدّمة، وهو أن الإمام كان لا يريد أن يعطى لبنى أمية ذريعة لقتله وتصفيّة من تبقى من شيعته وأهله بعد كربلاء... ولا يمنحهم الفرصة التي كانوا يطلبونها للانقضاض على المعارضة الشيعيّة وإمامهم على بن الحسين (ع).

ص: ٢٧

ملاحظات على ثورة المدينة:

نحن عندما نقرأ في التاريخ ثورة أهل المدينة على يزيد بن معاوية نستوقفنا ملاحظات جديرة بالتوقف. لا يسعنا دراستها في هذا الموضع من البحث وأنما نشير إليها ونتجاوزها.

لم يكن يخفى على الثائرين في المدينة أن يزيد بن معاوية لا يقف موقف المتفرّج عن إعلان أهل المدينة للانفصال عن حكومة الشام، بعد أن طردوا عامله على المدينة، وأنّه سوف يبعث إليهم بجيش من الشام، لا يطبقون مقاومته.

١٤ (١) راجع فرحة الغرى لابن طاووس: ٤٣. الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرّم: ٤٢. جهاد الإمام السجّاد زين العابدين (ع) للسيد محمّد رضا الجلالى: ٦٧.

١٥ (١) شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة: ٤ / ١٤٠.

وكان من المعقول جداً أن يفكر الثائرون في المدينة بالاتصال بالأقطار الإسلامية الأخرى ليزودوهم بالرجال والمقاتلين والمال كما فعل الحسين (ع) في خروجه على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك. وكان واضحاً لمن يتابع سير الأحداث يومئذ في المدينة ... أن الثائرين سوف يعرضون مدينة رسول الله (ص) وحرمة وقبره وأهل المدينة ومن بقي من صحابة رسول الله (ص) وأبناء الصحابة التابعين لفتك ذريع واسع من قبل جيش الشام الذي يقوده (مسرف) بن عقبة، وكان الأمر كذلك.

ونحن نحتمل أن عبد الله بن الزبير كان وراء هذه الواقعة فقد بعث أخاه منذر بن الزبير إلى المدينة ليحرّض أهل المدينة على خلع يزيد وطرد عامله ١٦.

يقول المسعودي في مروج الذهب: (إن حركة أهل المدينة وخراجهم بنى أمية وعامل يزيد من المدينة كان عن إذن ابن الزبير) ١٧.

ويقول ابن الأعمش في الفتوح: (... إن أهل المدينة لما بلغهم مبايعة الناس لابن الزبير في مكة والطائف وسائر مدن الحجاز، أخرجوا عامل يزيد من

ص: ٢٨

المدينة وبايعوا عبد الله بن الزبير، وبلغ ذلك ابن الزبير، فأرسل إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل (فولاه المدينة) ١٨.

ومهما يكن من أمر فلم يصب عبد الله بن الزبير في إشعال نار الحرب في مكة وتعريض الحرم المكي الشريف لانتهاكات جيش الشام، كما حدث، ولم يصب الثائرون في المدينة في تعريض مدينة رسول الله (ص) للانتهاك الواسع الذي قام به جيش الشام بقيادة (مسرف) بن عقبة في الحرم النبوي الشريف في المدينة.

كما لم يصيبوا في إعلان الخروج على يزيد من غير الإعداد الكامل لهذه المعركة غير متكافئة بين الثائرين من أهل المدينة وجيش الشام، وبين ابن الزبير وأصحابه في مكة وجيش الشام.

ولا نعلم كيف خفي هذه المدّة الطويلة فجور يزيد وفسقه وإعلانه على أهل المدينة، حتى رجع وفدهم من الشام من عند يزيد، فقالوا: (قدما من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب، فخلعوه من الخلافة) ١٩.

وكان عبد الله بن حنظلة الغسيل يقول: (جئكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم) ٢٠.

ويقول: (ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرْمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة) ٢١.

١٦ (١) راجع الكامل لابن الأثير: ٣ / ٤٥٠.

١٧ (٢) مروج الذهب: ٣ / ٧٨.

١٨ (١) الفتوح لابن الأعمش: ٥ / ١٥٦ - ١٥٧.

١٩ (٢) الكامل لابن الأثير: ٤ / ١٠٣.

٢٠ (٣) الكامل في التاريخ: ٤ / ١٠٣.

وكان الإمام الحسين (ع) قد كشف للمسلمين يزيد بن معاوية وفساده وفجوره منذ حياة أبيه معاوية عندما كان يسعى معاوية لياخذ البيعة من المسلمين ليزيد في حياته ٢٢.

روى ابن قتيبة الدينوري وغيره: لما قدم معاوية المدينة حاجاً، وأخذ البيعة ليزيد، وخطب ومدح يزيد، ووصفه بالعلم بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب. قام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أما بعد: فلن يؤدى القائل - وإن أظن - في صفة الرسول (ص) من الجميع جزءاً، هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل. فهتت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمة محمد (ص)، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تتعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشمة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاحى، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدّم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدّم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص (٢٣).

وقد كان حريّاً بأهل الحرمين الشريفين أن يقفوا مع ابن رسول الله (ص) حين أعلن الخروج على يزيد، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك حتى استشهاد

الحسين (ع) بكر بلاء بتلك الصورة المفجعة ... ولا نجد في خطاب الثائرين يومئذ في المدينة ذكراً للحسين (ع)، ومصرعه ومصرع أهل بيته وأنصاره الذين سبقوهم للخروج على يزيد.

وهذه وغيرها نقاط غامضة في ثورة أهل المدينة تحتاج إلى إجابة وبيان.

ومهما يكن من أمر، فقد كان من رأى الإمام زين العابدين (ع) ألا يدخل في هذه المواجهة المسلّحة لجيش الشام، وأن ينأى بنفسه وأهل بيته وشيعته عن هذه القضية، فهو يعلم أن بنى أمية كانوا يبحثون عن ذريعة يتمسكون بها للقضاء على بقيّة السيف من آل محمد (ص) وشيعتهم، ليتاح لهم القضاء الكامل على المعارضة العلوية بعد وقعة الطف.

وكان على بن الحسين (ع) يحرص ألا يعطى هو وأهل بيته وشيعته هذه الفرصة ليزيد، حتى تأتى الفرصة المناسبة للحركة الثقافية والسياسية الواسعة لأهل البيت بين المسلمين.

٢١ (٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

٢٢ (١) راجع الاحتجاج للطبرسي في رسالة الإمام الحسين (ع) إلى معاوية في التسقيط بيزيد.

٢٣ (٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١/ ١٥٣ (١٦٠) (٢٠٨). جمهرة الخطب: ٢/ ٢٤٢. الغدير: ١٠ / ١٦١ - ١٦٣ تاريخ يعقوبى: ٢ / ٢٢٨ وأعيان الشيعة: ١ / ٥٨٣ والنصائح الكافية: ٦٩.

يقول الشيخ المفيد (رحمه الله) قدم (مسرف) بن عقبة المدينة، وكان يقال: (إنه لا يريد غير علي بن الحسين) ٢٤.

ويقول المسعودي: نظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتى به إلى مسرف، وهو مغتاض عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعدته إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم إلى السيف إلا شفعه فيه، ثم انصرف عنه. فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله

ص: ٣١

الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته؟! فقال: ما كان ذلك لرأى مني، لقد ملئ قلبي منه رعباً) ٢٥.

الإمام السجاد (ع) في ظروف الاضطهاد الأموي:

واستمر بنو أمية وعمّالهم يبتون عيونهم حول علي بن الحسين (ع) ليجدوا فرصة مناسبة وذريعة للقضاء عليه بعد واقعة الطف حتى سنتين أو ثلاث بعد هلاك يزيد، ولكن الإمام (ع)، كان يعي حساسية الظروف السياسية يومئذ بعد مصرع الإمام الحسين (ع) ويفوت عليهم الفرصة التي كانوا يتمنونها حتى تغيرت الظروف السياسية ووجد الإمام (ع) أن الظرف مواتٍ للعمل والحركة السياسية والثقافية، فتغيرت سياسة الإمام (ع) عندئذٍ.

يقول إسماعيل بن علي أبو سهل النونجتي عن فترة الاضطهاد السياسي هذه: (وقتل الحسين (ع) وخلف علي بن الحسين ثم انقبض عنه الناس فلم يلق أحداً، ولا كان يلقاه إلا خواص أصحابه. وكان في نهاية العباد، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير، لصعوبة الزمان وجور بني أمية) ٢٦.

أجل كان الإمام (ع) يعتزل الناس وينأى بنفسه عن عيون بني أمية، ولذلك لم يكن يتصل به أحد خلال هذه الفترة، إلا القليل من خواصه، ولهذا السبب لم يخرج عنه من العلم إلا اليسير، حتى إذا تجاوز ظروف الفتنة أخذ منه الناس علماً كثيراً جمّاً، وكان له مجلس في مسجد رسول الله (ص) يعظ الناس معه فيه ٢٧.

ص: ٣٢

ورغم كل هذه الحيطة والحذر من جانب الإمام زين العابدين (ع) كان بنو أمية وعمّالهم يسعون ويعملون للقضاء على زين العابدين (ع) بأية ذريعة ممكنة. وقد قرأنا قريباً كيف هم (مسرف) بن عقبة أن يقتل الإمام (ع) لولا أن الله حفظه من بطش هذا المسرف.

روى الراوندي في كتابه (الخرائج والجرائح): أن الحجاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين (ع)) ٢٨.

٢٤ (١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ٣٦٩ / ٤ جامع أحاديث الشيعة: ٢٠٦ / ١٥ والإرشاد للمفيد: ٢٩٢.

٢٥ (١) مروج الذهب للمسعودي: ٧٠ / ٣ ..

٢٦ (٢) جهاد الإمام السجاد (ع) للجلالي: ٦٤ عن إكمال الدين للصدوق: ٩١.

٢٧ (٣) الكافي للكليني: ٧٢ / ٨ وتحف العقول: ٢٤٩ وجهاد الإمام السجاد للجلالي: ١٦٠.

وأمر عبد الملك عامله على المدينة بإحضار الإمام (ع) إليه في الشام، فأثقل الإمام بالحديد، ووكل به حُفَظاً يحفظونه ليدخلوه على عبد الملك في الشام.

لقد كان الإمام يعلم بهذا الاستهداف، ويعرف نية بني أمية تجاهه وتجاه شيعته علم اليقين، ويسعى بكل جهده لتفويت هذه الفرصة على بني أمية.

أجل لم يشترك الإمام (ع) في ثورة أهل المدينة، ولكنه بذل ما في وسعه لحماية من تمكن من حمايتهم من النساء والأطفال والرواة أيام ثورة أهل المدينة على يزيد.. وقد ذكر المؤرخون: أن الإمام (ع) آوى زهاء أربعمائة من النساء والأطفال والرجال وحماهم من فتك بني أمية.

وفي هذه الظروف أرسل المختار الثقفي (رحمه الله) إليه (ع) برؤوس قتلة الحسين (ع) وأولاده وأصحابه، فسُرَّ الإمام (ع) بذلك وخرَّ ساجداً لله ودعا له، وجزاه خيراً ٢٩.

واحتفل أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الانتقام الإلهي العاجل من قتلة الحسين (ع) وأنصاره.

ص: ٣٣

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع): (ما اختضبت هاشمية، ولا إذهنت، ولا دخل مروود في عين هاشمية حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد) ٣٠.

ومع أن الإمام (ع) دعا للمختار وجزاه الخير، لم يقبل منه ما أرسله إليه من الهدايا.

وكان يقول (ع) لمحمد بن الحنفية: (يا عم، لو أن عبداً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع) ٣١.

ص: ٣٤

ب- سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية

سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية وعمّالهم كانت من الثوابت السياسية لعلي بن الحسين زين العابدين (ع)، ولا نعرف في حياته وسيرته أنه عدل عن هذه السياسة في وقت من الأوقات، حتى في الأيام الأوائل من عودته من الشام إلى المدينة، حيث كان يسعى للتغيب عن مجتمع المدينة لم يتخلّ عن هذه السياسة.

٢٨ (١) بحار الأنوار: ٢٨ / ٤٦، ح ١٩. والخرائج والجرائح: ٢٥٧.

٢٩ (٢) تاريخ يعقوبى ٢ / ٢٥٩، دار صادر - بيروت.

٣٠ (١) بحار الأنوار ٤٥ / ٣٨٠.

٣١ (٢) جهاد الإمام السجّاد: ص ٢٨٥، نقلًا عن المختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي: ٥٩.

ولم يكن من رأى الإمام (ع) أن المبررات التى تبرّر عدم التصدّي للمقاومة المسلّحة تبرّر السكوت عن المعارضة والمقاطعة لحكومة بنى أمية.

مع عبد الملك بن مروان:

وكان يعلن هذه المعارضة إعلاناً للناس، ويريد أن يظهر للناس أنّه لا يعترف لهذا النظام بشرعيّة واحترام.

روى المجلسي عن الخرائج والجرائح عن الإمام الباقر (ع) أنّه قال: (كان عبد الملك يطوف بالبيت، وعلى بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذى يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ فقليل: هذا على بن الحسين (ع)، فجلس مكانه، وقال ردّوه إليّ. فقال له: يا على بن الحسين! إنّى لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال على بن الحسين (ع): (إن قاتل أبى أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبى عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون هو، فكن!)

ص: ٣٥

وكانما استشعر الإمام من كلمة عبد الملك تهديداً له، فأجابه بهذا الجواب فإن أحببت أن تكون هو فكن) ٣٢.

وروى المجلسي في البحار عن البرقي في (المحاسن) قال: (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله (ص) عنده - زين العابدين (ع) -، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه.

فكتب إليه عبد الملك يهدّده وأنّه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه (ع):

(أمّا بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جلّ ذكره:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ. [الحج: ٣٨].

فانظر أيّنا أولى بهذه الآية) ٣٣..

يقول شهاب الزهري: (شهدت على بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا لي فدخلت عليه، وهو في قبة والأقياد في رجله والغل في يديه، فبكيت وقلت وددت أنّى مكانك وأنت سالم.

فقال يا زهري! أتظنّ أنّ هذا مما ترى علىّ وفي عنقي يكرهني؟ أما لو شئتُ ما كان، فإنّه وإن بلغ منك وبأمثالك، ليذكرني عذاب الله، ثمّ أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، ثمّ قال يا زهري لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة.

قال فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه فكنّت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنّنا لنراه متبوعاً إنّّه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن على ابن الحسين فأخبرته.

٣٢ (١) بحار الأنوار: ٤٦ / ١٢٠ - ١٢١.

٣٣ (٢) بحار الأنوار: ٩٥ / ٤٦. والمناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٠٢.

ص: ٣٦

فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقدّه الأعوان فدخل عليّ فقال ما أنا وأنت؟

فقلت: أقم عندي.

فقال: لا أحبّ.

ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفةً.

قال الزهريّ: فقلت يا أمير المؤمنين! ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ، إنه مشغول بنفسه. فقال: حبّذا شغل مثله، فنعم ما شغل به) ٣٤.

قال وكان الزهريّ إذا ذكر عليّ بن الحسين يبكي ويقول زين العابدين ٣٥.

ثمّ يقول ابن حجر: (ومن ثمّ كتب عبد الملك للحجّاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتّم ذلك، فكوشف به زين العابدين، فكتب: إليه إنك كتبت للحجّاج، يوم كذا، سرّاً به إليه، فلمّا وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجّاج، ووجد مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجّاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره، فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله ألا يخليه من صالح دعائه) ٣٦.

الدعاء على الظالمين:

وكان (ع) يصوغ نغمته على الظالمين، وإعلانه لرفضهم على هيئة الدعاء.

ص: ٣٧

ومنه هذا الدعاء الذي يرويه السيّد عليّ بن طاووس في الإقبال، وهو من أدعية الصحيفة السجّادية الخامسة:

(اللهم إن الظلمة جحدوا حقّك، وكفروا بكتابتك، وكذبوا رسلك، واستنكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملّة خليلك، وبدّلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير هداك، واستنّوا بغير سنّتك، وتعدّوا حدودك، وسعوا معاجزين في آياتك، وتعاونوا على إطفاء نورك ...) إلى آخر الدعاء.

التحذير عن التعاون مع الظالمين:

كان (ع) يحذّر علماء عصره من التعاون مع الظالمين والدخول في أعمالهم وولايتهم، ويقول:

٣٤ (١) حليّة الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ٢ / ٥٨٣ ط دار الكتاب العربي بيروت. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١ / ٣٧٢ بحواشي المحقّق على شيرازي، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ١٧ / ٢٣٤. والصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٥٨٣ ط ١٩٧٧، بيروت. ومناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ١٣٢ وكشف الغمّة: ٢ / ٢٨٨ ومدينة المعاجز: ٣٠٨ والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٣٥٣-٣٥٤.

٣٥ (٢) المصادر المتقدّمة.

٣٦ (٣) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢ / ٥٨٣ ط ١٩٩٧ بيروت.

(العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به، شركاء ثلاثة) ٣٧.

هؤلاء الثلاثة شركاء للظالم في كل ما يتحمل الظالم من مسؤوليات الظلم ... وقد ورد هذا المعنى في زيارة الحسين (ع) المعروفة بـ (وارث): (لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن أمة سمعت بذلك فرضيت به).

لقد استحققت الأمة الأولى اللعن بقتل سيد الشهداء (ع).

ولم تمارس الأمة النائية والثالثة (قتلاً ولا ظلماً) وإنما استحققت اللعن بالسكوت عن الظلم والرضا بالظلم.

خطب الإمام الحسين (ع) بمنزل البيضة في طريقه إلى كربلاء، فقال:

(أيها الناس، إن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ناكثاً

ص: ٣٨

لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله (٣٨).

ومما روى عنه (ع) في صحبة الظالمين والفاستقين:

(لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله، إلا أوشك أن يتفرقا على غير طاعة الله) ٣٩.

وهي كلمة ذات شعبتين:

في الشطر الأول منها يشير الإمام إلى الذين يمدحون أرباب المال والسلطة من غير علم، وبما لا يعلمون تزلفاً إليهم، فيذكرهم الإمام (ع) بأن هذا التزلف سرعان ما يتحول إلى تباعد وتنافر، فيقولون فيهم يومئذ من الشر ما لا يعلمون، كما كانوا يقولون فيهم من قبل من الخير ما لا يعلمون.

وفي الشطر الثاني من الكلمة، ينذر الإمام الذين يصاحبون الظلمة والفاستقين بأنهم كما اجتمعوا على معصية الله، فسوف يفترون على معصية الله.

وكان (ع) يقول:

(وإياكم وصحبة العاصين، ومعوثة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم، واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبد بأمره دون ولي الله، كان في نار تلتهب) ٤٠.

٣٧ (١) بلاغة على بن الحسين (ع) للحائري، ص ٢٢٤.

٣٨ (١) بحار الأنوار: ٣٨٢ / ٤٤ والعوالم مجلد الإمام الحسين: ٢٣٣ ط ١٤٠٧ مدرسة الإمام المهدي والفتوح لابن أعثم الكوفي: ٨١ / ٥.

٣٩ (٢) تهذيب الكمال للمزي: ٢٠ / ٢٩٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ٨١ / ٣٨٨.

٤٠ (٣) روضة الكافي: ١٣٨ وتحف العقول: ٦٧.

ص: ٣٩

مع الزهري:

كان محمد بن مسلم الزهري من أبرز علماء البلاط الأموي في وقته، خدم بني أمية طويلاً، وكان من أعوانهم، والذين يوطئون لهم الحكم.

قال ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان: (ولم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، واستقضاه يزيد بن عبد الملك) ٤١.

وقال ابن حجر: (أمره هشام أن يملئ على أولاده أحاديث، فأملئ لهم أربعمئة حديث) ٤٢.

وقال ابن الحديد: (كان الزهري من المنحرفين عن عليّ (ع)).

وروى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة، قال: (شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري، وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً (ع)، فنالا منه، فبلغ ذلك عليّ بن الحسين (ع)، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبي عليّ أبيك. وأنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك) ٤٣..

وروى الذهبي في ترجمة خارجة بن مصعب، قال: (قدمت على الزهري، وهو صاحب شرطة بني أمية، فرأيت يركب، وفي يده حرب، وبين يديه الناس .. فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه) ٤٤..

يقول ابن خلكان: (ولم يزل مع عبد الملك وأولاده هشام وسليمان ويزيد. وقد استقضاه الأخير) ٤٥.

ص: ٤٠

وقيل ليحيى بن معين: (الأعمش خير أم الزهري؟ فقال: برئت منه ان كان مثل الزهري، إنه كان يعمل لبني أمية، والأعمش بجانب للسلطان ورع) ٤٦.

رسالة الإمام (ع) إلى محمد بن مسلم الزهري ٤٧:

٤١ (١) الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٥٥، نقلًا عن وفيات الأعيان لابن خلكان.

٤٢ (٢) تهذيب التهذيب: ٩ / ٤٤٥.

٤٣ (٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠٢ / ٤.

٤٤ (٤) ميزان الاعتدال للذهبي: ١ / ٦٢٥.

٤٥ (٥) وفيات الأعيان: ٣ / ٣٧١.

٤٦ (١) معرفة علوم الحديث للحاكم: ٤٥.

٤٧ (٢) الزهري هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من الفقهاء والحفاظ التابعين، عمل في بلاط بني أمية. وكان منحرفاً عن أمير المؤمنين (ع) ويداري بني أمية في إخفاء فضائل أمير المؤمنين (ع).

قال ابن الأثير في (إسد الغابة) ١ / ٣٠٨:

روى أبو أحمد العسكري باسناده عن عمار بن يزيد عن عبد الله بن العلاء عن الزهري، قال: سمعت سعيد بن جناب يحدث عن أبي عفوانة المازني، قال سمعت أبا جنيذة جندع بن عمرو بن مازن، قال: سمعت النبي (ص) يقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وسمعت، وإلا صمتاً يقول، وقد انصرف من

روى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول: إن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) كتب إلى محمد بن مسلم الزهري:

(كفانا الله وإياك من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه، وفقّهك من دينه، وعرفك من سنّة نبيّه محمد (ص)، فرضى لك - في كلّ نعمة أنعم بها عليك، وفي كلّ حجة احتج بها عليك - الفرض بما قضى، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك،

ص: ٤١

٤٨

وأبدى فيه فضله عليك، فقال: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد. [إبراهيم: ٧].

فانظر: أيّ رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله! فيسألك عن نعمه عليك، كيف رعيته؟ وعن حججه عليك، كيف قضيتها؟

ولا تحسبنّ الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير! هيهات هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ. [آل عمران / ١٨٧].

واعلم أن أدنى ما كتمت، وأخفّ ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوّه منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت. فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعتاتك على ظلم الظلمة.

إنّك أخذت ما ليس لك ممّن أعطاك، ودنوت ممّن لم يردّ على أحد حقّاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك، وأحببت من حادّ الله.

أوليس بدعائه إياك، حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضالّتهم. داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشكّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم؟

فلم يبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصّة والعامة إليهم. فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا لك في جنب ما خرّبوا عليك. فانظر لنفسك، فإنّه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟ فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا [الأعراف: ١٦٩].

ص: ٤٢

حجّة الوداع، فلمّا نزل غدِير خمّ قام في الناس خطيباً وأخذ بيد عليّ وقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. قال عبيد الله: فقلت للزهري: إلا تحدّث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب عليّ فقال: والله إن عندي من فضائل عليّ ما لو تحدّثت بها لقتلت.

إنك لست في دار مقام، أنت في دار آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه؟

طوبى لمن كان في الدنيا على وجل. يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إحذر فقد نُبِّئت، وبادر فقد اجلّت.

إنك تعامل من لا يجهل، وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد. ولا تحسب أنني أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك، لكنني أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويردّ إليك ما عذب من دينك، وذكرت قول الله تعالى في كتابه: وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [الذاريات: ٥٥].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب.

انظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه؟ أم هل تراهم ذكرت خيراً أهملوه، وعلمت شيئاً جهلوه؟ بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلّوا، وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك، ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ذهاب علمائهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وحبّ الرئاسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ قد ابتليتهم، وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتأقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه، وفي بلاء لا يقدر قدره. فالله لنا ولك، وهو المستعان.

أما بعد: فأعرض عن كلّ ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسماهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا، ولا يفتنون بها.

ص: ٤٣

رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا. فإن كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ، مع كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثنا، وما نرى فيك، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك.

فانظر: كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صياتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟

ما لك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحببتُ به له ديناً، أو أمتُ له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك؟! ما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالى في كتابه: أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم: ٥٩].

استحملك كتابه، واستودعك علمه، فأضعتهما! فحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام) ٤٩.

حوار مع الزهري:

وروى أن الزهري قال لعلّ بن الحسين (ع): (كان معاوية يسكته الحلم، وينطقه العلم.. فقال (ع): كذبت يا زهري، كان يسكته الحصر، وينطقه البطر) ٥٠.

ص: ٤٤

حوار الإمام مع عباد البصري:

وفى طريق الحجّ يلقي عباد البصريّ الإمام زين العابدين (ع) وهو مقبل على الحجّ على طريق مكّة، فيقول للإمام: تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحجّ ولينه؟ ثمّ قرأ عباد قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

فقال له الإمام (ع): اقرأ بعدها: فَقَرَأَ: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ١٢].

فقال زين العابدين (ع): إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً ٥١.

والإمام (ع) يُعَرِّضُ بالقيادة الأمويّة الظالمة التي كانت تتصدى يومئذ للقيادة والخلافة في العالم الإسلاميّ ... ويقول لعباد البصري: إِنَّ الْقِيَادَةَ الْحَاضِرَةَ الْمَتَصِدِّيَّةَ لَا تَصْلَحُ لِلْإِمَامَةِ وَالْقِيَادَةُ، وَلَا يَجُوزُ الرُّكُونُ إِلَيْهَا، لقوله تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود: ١١٣].

وكيف يصلح لإمامة المسلمين (رجل، فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن الفسق) ٥٢.

(رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة) ٥٣.

ص: ٤٥

وعلى هذا النهج كان عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) يُعَرِّضُ بخلفاء بني أميّة الفاسدين ويطعن فيهم، وينفي صلاحيتهم لإمامة أمّة رسول الله (ص)، وينكر على المتعاونين معهم تعاونهم معهم وركونهم إليهم.

ص: ٤٦

٢- المحور التربويّ في إعداد الجماعة الصالحة

ص: ٤٧

٥٠ (٢) الاعتصام للقاسم بن محمّد بن عليّ الزيدى، ط عمان، ١٤٠٣.

٥١ (١) من لا يحضره الفقيه: ١٤١ / ٢ ومناقب آل أبي طالب: ١٧٣ / ٤.

٥٢ (٢) مقتبس من كلمة الإمام الحسين (ع) في التعريف بيزيد. (إحقاق الحقّ) بشرح السيّد المرعشي: ٣٣ / ٦١٥ ولوائح الأشجان: ٢٥.

٥٣ (٣) مقتبس من كلمة عبد الله بن حنظلة الغسيل في التعريف بيزيد. تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٩.

الحالة السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بنى أميّة

كانت خلافة بنى أميّة انتكاسة شديدة للمشروع الإسلاميّ في ثلاثة مواقع:

١- في المواقع القياديّة للمجتمع الإسلاميّ الناشئ.

٢- في القيم والأحكام التي جاء بها رسول الله (ص) من عند الله لهذه الأمّة، وأحلّها محلّ القيم والأعراف والأنظمة الجاهليّة.

٣- في بناء الأمّة التي وضع رسول الله (ص) أسسها على هدى الوحي.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار فأن الفترة الزمنيّة التي تفصل بين وفاة رسول الله (ص) وقيام الحكومة الأمويّة أقل من نصف قرن، نعرف مدى فداحة الخسارة التي أصابت الكيان الربّاني الذي أقامه رسول الله (ص) في دنيا الناس.. وإليك تفصيل هذا الإيجاز.

الموارث النبويّة الثلاثة:

لقد توفّي رسول الله (ص) وخلف من بعده ثلاثة موارث .. وكانت هذه الموارث الثلاثة كافية لإنقاذ البشريّة كلّها من ظلمات الجاهليّة.. وهذه الثلاثة هي:

١- ميراث المواقع القياديّة الجديدة التي أحلّها رسول الله (ص) محلّ المواقع القياديّة الجاهليّة.. فقد جاء الإسلام بانقلاب شامل في المواقع القياديّة، حيث وضع الإسلام اناساً كانوا في قمّة الهرم الاجتماعيّ في الجاهليّة، ورفع اناساً كانوا في حضيض المجتمع الجاهليّ من قبل.

وقد ثقل هذا التغيير في المواقع القياديّة على الناس، وكانوا يعاتبون في ذلك رسول الله (ص).. ولكن رسول الله لم يكن يعبأ بهذا العتاب والنقد، ويعلم جيداً

ص: ٤٨

أن الطبقة التي كانت تمارس الدور القيادي في المجتمع الجاهلي، لا تصلح أن تتولى نفس الدور في هذا المجتمع الناشئ الجديد الذي أقامه الله موضع المجتمع الجاهلي، وأن العقول التي اشربت بالأفكار والأعراف الجاهليّة، وتكونت فيها، لا تستطيع أن تمارس دور القيادة في هذا المجتمع الناشئ الذي قام على أنقاض الحياة الجاهليّة ...

وهناك علاقة وثيقة بين سلامة المواقع القياديّة وسلامة الأمّة، وسلامة القيم والأفكار والحدود التي تنظم حياة الأمّة.

وينعكس أى فساد وانحراف في المواقع القياديّة على الأمّة مباشرة في ثقافتها، واستقامتها، ومقاومتها، وحصانتها، ورفضها للظلم والفساد، وكذلك ينعكس على التراث التشريعي والحضارة للأمّة.

٢- ميراث القيم والحدود والأحكام الإلهية، وهو ميراث إلهي عظيم، جاء به رسول الله (ص) من عند الله وأحلّه محلّ التقاليد والأفكار والأعراف والأنظمة الجاهلية والقبلية ...

إن الحضارات تختلف وتتعدّد باختلاف القيم والأعراف والأنظمة والأحكام ... فكان للمجتمع الجاهليّ العربيّ أفكاره وأعرافه وأحكامه التي تخصّه، وللحضارات اليونانية، والفارسية، والرومانية، والهندية، والمصرية يومذاك أحكامها وأعرافها ونظمها وقيمها الخاصّة بها، إلا أن هذه الحضارات جميعاً عربيّة وغير عربيّة كانت تجمعها المقاييس والأصول الجاهليّة في التفكير والتنظيم والتقييم.

وجاء رسول الله (ص) إلى البشريّة بالإسلام، وهو نظام إلهيّ جديد على الناس، وقيمهم، ومعاييرهم في الحكم، وأنظمة حياتهم يومذاك، صادر من مصدر الوحي الإلهي، يتطابق مع فطرة الناس التي فطر الناس عليها، ويقع في امتداد الرسالات الإلهية السابقة عليه في خطّ تكامليّ، يلغى في حياة الناس كلّ

ص: ٤٩

القيم والتنظيمات والأحكام الجاهلية، ويبني الفرد والمجتمع بناءً جديداً على أسس ومقاييس جديدة تماماً على أفكار الناس... وهذا ميراث (تشريعيّ) و (قيميّ) و (عقائديّ) عظيم، خلّفه رسول الله (ص) من بعده في هذه الأمّة.

ولحماية هذا الميراث الحضاريّ والتشريعيّ العظيم لا بدّ من وجود قيادة أمينة، مستوعبة لشريعة الله وأحكامه وقيم هذه الشريعة ومعاييرها في التنظيم والتقييم. .. وفي غير هذه الصورة إذا حدثت انتكاسة في المواقع القيادية في المجتمع، وتولّى قيادة الأمّة الناشئة اناس من نفس الطبقة التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي من قبل، فقد تكوّنت عقولهم ونفوسهم في الحضارة الجاهلية ... فسوف يكون لهذه الانتكاسة تأثير كبير في تحريف دين الله وأحكامه وقيمه، ولعلّ اهتمام الإسلام بسلامة المواقع القيادية (الإمامة) في المجتمع لهذا السبب.

وقد طلب إبراهيم (ع) بعد أن امتحنه الله بالكلمات الصعبة، وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (البقرة: ١٢٤)، ورزقه الإمامة العامّة في حياة الناس قالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [البقرة: ١٢٤] .. طلب إبراهيم (ع) من الله أن يجعل الإمامة في ذريّته قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي [البقرة: ١٢٤].

فاستجاب الله تعالى لدعاء عبده وخليله إبراهيم، ولكن الله تعالى ذكره بأن عهده في الإمامة وقيادة الأمّة، لا ينال الظالمين قالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة: ١٢٤]، ولن يكون الظالمون أهلاً لاستلام موقع الإمامة والقيادة في المجتمع الإسلاميّ.

٣- الأمّة، وهي الكيان الحضاريّ المبارك الذي جعله الله أمّة وسطاً، وأمّة شاهدة على الناس، وحاملة للتوحيد، وقيّمة على البشريّة وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، [البقرة: ١٤٣].

ص: ٥٠

وبناء هذا الكيان هو كلّ عمل الأنبياء وجهدهم وجهادهم في التاريخ.

وهذه الأمّة هي التي حملت كلمة التوحيد إلى أرجاء المعمورة، وحملت عن رسول الله (ص) تبليغ هذه الرسالة، وتحملت مسؤوليّة إزالة الاستكبار والشرك والكفر والفساد من وجه الأرض.

تلك هي المواريث الثلاثة الكبيرة التي أورها رسول الله (ص) أجيال المسلمين من أمته من بعده.

الانتكاسة:

إلا أن هذه المواريث العظيمة تعرضت لانتكاسة شديدة على يد بنى أمية، منذ عهد معاوية، وتحولت القيادة الإسلامية إلى ملك عضوض، وفقدت مقوماتها الدينية، وتحولت إلى سلطة زمنية ظالمة، استخدمت لتحقيق أهدافها السياسية في بسط سلطانها ونفوذها بكل الوسائل الممكنة، ما حظرها الله على أصحاب السلطان وما لم يحظر، وحكم بنو أمية أتباعهم وأزلامهم في مرافق الدولة ومصالح المسلمين والولايات الإسلامية، بشكل واسع.

وصدقت في ذلك نبوءة أبي سفيان وغايته التي كان يسعى إليها.

يقول ابن عبد البر في الاستيعاب:

إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: (قد صارت إليك بعد تيم وعدى، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار.

ص: ٥١

فصاح به عثمان: قم عنى فعل الله بك وفعل) ٥٤.

ومر أبو سفيان بقبر حمزة (رض)، عندما صارت الخلافة إلى عثمان، فضربه برجله، وقال: (يا أبا عمار، إن الأمر الذي تجالدا عليه، أصبح بيد صبياننا) ٥٥.

... وهكذا كان، فقد تمكن بنو أمية من بسط سلطانهم على كل أقاليم العالم الإسلامي، وتمكنوا من القضاء على أكثر خصومهم السياسيين والفكريين، وقضوا بما نشروا في الناس من الإفساد والإرهاب على حالات المقاومة والرفض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة.

فلا يحدثنا التاريخ أن المجازر التي قام بها (مسرف) بن عقبة في حرم رسول الله (ص) بالمدينة أحدثت ردود فعل بحجم الجريمة التي ارتكبتها ابن معاوية في الأوساط الإسلامية يومذاك. وهو أمر غريب، أن تحدث جريمة بهذه البشاعة والسعة في حرم رسول الله (ص) فلا ينهض المسلمون للإنكار على بنى أمية، ولم تحدث ثورات وانتفاضات رافضة ومستنكرة لهذه الجريمة!

ويدخل الغناء والطرب في صلب فريضة الحج، وفي منى، ويشغل حكام بنى أمية المسلمين عن حجهم وعبادتهم باللغو الذي حرّمه الله، ويتسابق المطربون والمطربات في ليالي البيض في منى إلى عرض كفاءاتهم ومهاراتهم الفنية في فنون الغناء، ثم لا تجد من يستنكر ويشور وينتفض لهذا الانحراف الشديد عن فريضة الحج، وللخواء الذي أصاب الحج أيام بنى أمية!

٥٤ (١) الاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإصابة، مصر ١٣٢٨، ج ٤ / ٨٧: ثم قال ابن عبد البر: (وله أخبار) من نحو هذا رويت لم أذكرها، وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه إسلاماً.

وكان عمر بن ربيعة شاعرهم ينتهك أعراض المسلمين ويتغزل بالنساء في طواف الحج، فلا يستطيع أحد أن يناله بسوء، لموقعه من بنى أمية وحمايتهم له!

ص: ٥٢

ويشرب الخليفة، ويسكر، ويرتاد قصره أصحاب المجون والخلاعة، ويمارس ألواناً من المجون، والخلاعة، والاستهتار، والسكر، والشرب وغير ذلك مما حرّمه الله، فلا ينكر ذلك عليه أحد غير أصوات معترضة محدودة هنا وهناك.

ويقوم بنو أمية بتحريق الكعبة المشرفة وهدمها، ثم لا تجد لهذه الجريمة أصداء استنكار ورفض في العالم الإسلامي^{٥٦}.

لقد كان للانحراف الذي حدث في موقع القيادة في هذه الأمة تأثير واسع على الأمة، وإرادتها، ووعيها، ومقاومتها، وقدرتها على الرفض والاستنكار، والتزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان له تأثير سلبي على القيم والأفكار والأحكام والحدود التي تعتبر المحتوى والإطار الحضاري لهذه الأمة.

وهو أمر طبيعي، فإن الفساد الذي يجري في قمة الهرم الاجتماعي في أية أمة ينسحب بالضرورة على كل المؤسسات والبنى والكيانات التي يتضمنها الهرم الاجتماعي، بقدر ما تفقد الأمة في هذا الفساد القيادي من حصانتها ومقاومتها وإرادتها.. وكلما يكون تأثير هذا الإفساد أكثر في سلب حصانة الأمة ومقاومتها، يكون مداه أوسع وحجمه أكبر ...

وقد رأينا قريباً أن بنى أمية بسطوا نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي عن طريق الإرهاب والإفساد، وقد بسطت الكلام في ذلك في كتاب (وراث الأنبياء) بشكل موثق ... وكان لأعمال الإرهاب والإفساد الذي مارسه بنو أمية في وسط هذه الأمة دور كبير في تجريد الأمة عن المقاومة والمعارضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ورأينا فقهاء هذه الفترة يحمون البلاط الأموي من غضب الناس وثورتهم بالافتاء بحرمة الخروج على الظالم، مهما بلغ ظلمه

ص: ٥٣

مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والزهرى، وغيرهم.

هذه بالإجمال صورة مصغرة عن عصر الإمام زين العابدين (ع).

الواقع السياسي والديني الذي عاشه على بن الحسين (ع):

لقد عاد الإمام (ع) من الشام إلى الحجاز بتصور كامل عن المنهج السياسي والاجتماعي والتربوي والتثقيفي الذي يفرضه عليه الظرف الصعب الذي ابتلاه الله تعالى به، في موقع الإمامة بعد مأساة الطف المروعة.

عاد الإمام (ع) إلى الحجاز ليوافقه هذه الحقائق المؤسفة ماثلة أمامه في الحرمين الشريفين وفي الحجاز وعند عامة المسلمين.

لقد رأى على بن الحسين (عليهما السلام) بغى بنى أمية في العراق والحجاز، وانتهاك حرّامات الإسلام في كربلاء والمدينة ومكة، وسكوت المسلمين عن جرائم بنى أمية وانتهاكاتهم، ورأى انتشار الفساد واللهو في بلاد المسلمين بدءاً بقصور

٥٦ (١) ذكرنا مصادر هذه الأحداث في أول الكتاب، فراجع.

الخليفة نفسه، مروراً بالحرمين الشريفين إلى سائر مناطق العالم الإسلاميّ دون أن تكون هناك مقاومة تذكر لهذا كلّ في المسلمين.

وكانت خيارات الإمام (ع) محدودة جداً في ظروف القهر والإرهاب الأمويين لاستعادة الإسلام إلى مجاريه الطبيعيّة في وسط هذه الأمّة، وإعادة بناء الأمّة التي أفسدها بنو أميّة إلى الخطّ الإسلاميّ الصحيح الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله (ص).

بناء الجماعة الصالحة:

لقد توجّه الإمام يومئذٍ إلى بناء (الجماعة الصالحة) التي تحمّل قيم هذا الدين وثقافته وتجسّد اهتماماته، وتنهض برسالته، وتلتزم بالتزاماته وتعهداته،

ص: ٥٤

وتسلّك مسالك الأنبياء والصالحين في الحياة، لتكون هذه الجماعة هي الجماعة النموذجيّة الواقعيّة التي تتحرّك على الأرض، وهي الأساس ونقطة البداية لإعادة بناء الأمّة على الخطّ الإسلاميّ الصحيح النقيّ الذي جاء به رسول الله (ص) من عند ربّ العالمين.

كانت هذه الخطوة هي الخطوة الأولى في عمل عليّ بن الحسين (ع) واللبنة الأساسيّة التي بنى عليها أهل البيت (عليهم السلام) بنيانهم الثقافيّ والسياسيّ.

وكذلك نجد أن أمّة أهل البيت (عليهم السلام) يواصلون هذه الرسالة في بناء الجماعة الصالحة منذ عهد عليّ بن الحسين (ع) حتى أيام الغيبة الصغرى.

وأتّسعت فيما بعد رقعة هذه الجماعة في أيّام عليّ الهادي وأبي محمّد العسكري (عليهما السلام)، وأصبح لها مراكز وتجمّعات في الحجاز وبشكل خاصّ في المدينة، وفي اليمن، والكوفة، والبصرة، وبغداد (الكرخ)، وجبل عامل، وخراسان، و قم، وري، وأهواز، وسجستان، وبُست، وواسط، وما وراء النهر، ومصر، والمغرب العربيّ.. وعلى العموم اتّسعت رقعة هذه الجماعة (شيعّة أهل البيت (عليهم السلام)) في القرن الثالث الهجريّ إلى أغلب المناطق الإسلاميّة، وكان لهم فيها تجمّعات، ومراكز، وحوزات علميّة، وعلماء، ومحدّثون، وشبكة منظّمة وواسعة من الوكلاء، وجباة للأموال، والدعاة إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت لهم ثقافة ومدارس، وكانوا يلتزمون بالتزامات أمنيّة متشدّدة، وبالسريّة والتقيّة في العمل.. وكان لهذه الضوابط دور كبير في حفظهم وإبقائهم، رغم كلّ الإرهاب الذي كان يمارسه بحقّهم بنو أميّة، ومن بعدهم بنو العباس، حتى في أشدّ مراحل ضعفهم.

وكانت هذه الجماعة أساساً صالحاً لبناء ثقافيّ وسياسيّ وحركيّ داخل هذه الأمّة.

ص: ٥٥

ونتوقف قليلاً عند هذه الكلمة (داخل هذه الأمّة). فلم تكن الغايّة من هذه الحركة التربويّة التي بدأها الإمام عليّ بن الحسين (ع)، واستمرّت حتى حياة الإمام أبي محمّد العسكريّ (ع)، ومن بعده في فترة الغيبة الصغرى، ثمّ آتت ثمارها من بعد ذلك في الغيبة الكبرى، أقول: لم تكن الغايّة من هذه الحركة، بناء جماعة صالحة بمعزل عن الأمّة، وخارج هذه الأمّة، أو بناء أمة

داخل الأمة، وإنما كانت الغاية - كما سوف نتحدث عنها إن شاء الله - هي أن تكون هذه الجماعة الصالحة نموذجاً صالحاً للتكامل والصلاح في هذه الأمة.

ففي جميع مراحل الصراع بين أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وبين السلطة الأموية والعباسية كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على أمور ثلاثة، نجدها واضحة في كلماتهم وتعليماتهم:

مقاطعة حكام بني أمية وبني العباس الظلمة المنحرفين عن الإسلام، والابتعاد عنهم، وعدم الدخول في أعمالهم إلا بقدر ما تقتضيه المصلحة الإسلامية في تسيير الأمور ... هذا أولاً.

وعلى حضور الجماعة الصالحة في وسط الأمة، وعدم اعتزالهم لأوساط الجمهور من هذه الأمة .. ثانياً.

وبناء الجماعة الصالحة الملتزمة بحدود الله، وقيم هذا الدين وأخلاقه وبالتواصل والتكافل فيما بينهما، وبالصبر والالتزام بالسريّة (التقية) في حركتهم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) في المجتمع الإسلامي الكبير ... ثالثاً.

إن إعداد الجماعة الصالحة كان من أولويات عمل أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، بدءاً من الإمام زين العابدين (ع) إلى فترة الغيبة الصغرى ... وكان لهذه الجماعة تأثير واسع في حركة أهل البيت الثقافية والسياسية والاجتماعية... ولا نستطيع أن نفهم دور أهل البيت (عليهم السلام) وحركتهم بعد مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة

ص: ٥٦

الصغرى في مرحلة إمامة الإمام محمد المهدي ما لم نفهم قيمة هذه الجماعة في حركتها الثقافية والسياسية.

ولم تكن الغاية من هذه الجماعة (شيعه أهل البيت (عليهم السلام)) أن تكون بديلة عن الأمة، وإنما كانت الغاية أن تكون سبيلاً إلى تغيير الأمة سياسياً وثقافياً وحركياً ... وهذه الجماعة - كما قلنا - هي الجماعة التي غلب عليها اسم (شيعه أهل البيت (عليهم السلام)) في تاريخ الإسلام، وتعرضت لاتهامات ظالمة وعدوان ومقاطعة ومطاردة من قبل الحكام الظالمين وأزلامهم في التاريخ.

وهذه مسألة مهمّة جداً في فهم التخطيط السياسي والثقافي لحركة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن دون أن نأخذ هذه النقطة الأخيرة بنظر الاعتبار لا نستطيع أن نفهم الأهداف التي كان يتوخّاها أهل البيت (عليهم السلام) بعد مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى.

وسوف نعود إلى هذه النقطة بصورة موثقة ومشروحة إن شاء الله.

والآن نتحدث عن منهج الإمام زين العابدين (ع) في إعداد الجماعة الصالحة.

ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين (ع):

فيما وصلنا من التراث الثقافي والدعائي من كلمات الإمام عليّ بن الحسين (ع) نجد اهتماماً واسعاً بتنقيف الجماعة الصالحة.

وتتشعب هذه الثقافة إلى أبواب عديدة أهمّها:

١- العلاقة بالله تعالى.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة وفي وسط الأمة.

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين.

ص: ٥٧

٤- الثقافة الوعظية.

٥- التتقيف بمرجعية أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة رسول الله (ص)، وثقافة الولاء والبراءة.

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعيين.

ص: ٥٩

ثقافة الجماعة الصالحة

١- ثقافة العلاقة بالله - الدعاء -.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة

الصالحة وفي وسط الأمة.

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

٤- الثقافة الوعظية.

٥- التتقيف بمرجعية أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة رسول الله (ص)

وثقافة الولاء والبراءة.

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي.

ص: ٦٠

١- ثقافة العلاقة بالله

وهذا هو أوسع أبواب ثقافة الجماعة الصالحة، ويعطيها الإمام زين العابدين (ع) الاهتمام الأكبر، ولا نعرف في تراث الإمام عليّ بن الحسين (ع) باباً أوسع وأغنى من هذا الباب.

والصحيفة المعروفة باسمه (ع) في الدعاء والمناجاة أعظمها أو كلها من هذا الباب، وكذلك أكثر ما يوجد في الصحائف الأخرى المأثورة عنه (ع).

وكلمات الإمام زين العابدين في الدعاء والمناجاة كلمات رقيقة شفافة، تصدر عن قلب شفاف رقيق، مؤثرة في نفس الإنسان، مربية، معبرة عن عمق حالة فقر العبد إلى الله، وسعة رجائه في الله تعالى، وثقة العبد برحمة الله، وخوفه من غضب الله، واقتران الخوف بالرجاء في مقام الدعاء والعبودية، فلا يغطي الخوف على الرجاء، ولا يغطي الرجاء على الخوف، تتعدّد فيها ألوان العلاقة بالله. فإن العلاقة الراشدة بالله حزمة من العلائق من الخوف، والرجاء، والدعاء، والحب، والوله، والأنس، والشوق، والتضرع، والإنابة، والإخبات، والطاعة، والركون، والسكون إلى الله، والاستغفار، والاستعاذة بالله، والتوكّل على الله ... ونحن نجد كل هذه الألوان من العلاقة في أدعية الإمام زين العابدين ..

إن أدعية الإمام زين العابدين لوحات فنيّة من أروع ما يعرفه الإنسان في أدب الخطاب مع الله تعالى..

ص: ٦١

ولا أدري أيّ لوحة من هذه اللوحات أقدم للقارئ شاهداً على ما أقول، فكلّ أدعيته غرر.

باقة من دعاء الأسحار:

اقرأ تسلسل الحمد في دعائه الذي يرويه عنه أبو حمزة الثمالي (رضوان الله عليه)، وكان يتهجّد به الإمام في أسحار شهر رمضان:

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَجِيبُنِي، وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئاً حِينَ يَدْعُونِي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلاً حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنْادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي، وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي. الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَكَّلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهَيِّنُونِي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي تَحَبَّبَ إِلَيَّ، وَهُوَ غَنَى عَنِّي، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي، فَ رَبِّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي وَأَحَقُّ بِحَمْدِي).

تري هذا المسلسل الجميل للحمد، يأتي تباعاً حمداً، بعد حمد، مقترناً بالتذكير بنعمه وإحسانه تعالى الذي يحبّ إلى العبد حمد ربّه.

فيحمد العبد ربّه الذي يدعوه فيجيبه، وإن كان العبد بطيئاً في الاستجابة لدعاء ربّه.

ويحمد الله الذي يسأله فيعطيه، وإن كان العبد بخيلاً عندما يستقرضه الله.

ويحمد ربّه الذى يناديه كلما شاء لحاجاته، ويخلو به حيث شاء لسره، فيفتح له العبد من سرّ نفسه ما لا يبوحه للآخرين، من دون شفيع، ولا إذن ولا حاجب، يناجى ربّه متى يحبّ، ويفتح مكنون قلبه له متى يريد، ويبثّه همومه وشكواه متى أحبّ، فيقضى الله له حاجته.

ص: ٦٢

ويحمد ربّه الذى يكل عبده إليه وإلى رحمته وفضله، ويغنيه ويكفيه، ولا يكله إلى عباده فيهيئوه، ويطردوه.

ويحمد الله الذى يتحبّب إلى عبده، وهو غنىّ عن حبّ عباده.

وفى نهاية هذا المسلسل من الحمد تأتي هذه الفقرة الرائعة: (فرّبى أحمد شيء عندى، وأحقّ بحمدى).

فليس شيء فى هذا الكون أحقّ بحمد العبد، من الله، فهو تعالى (أحمد شيء لعباده).

وفيما يلى ننظر فى لوحة أخرى من أدب الدعاء والمناجاة للإمام علىّ بن الحسين (ع) فى دعاء الأسحار: (حجّتى يا الله فى جرأتى على مسألتك، مع إتيانى ما تكره جودك وكرمك. وعُدّتى فى شدّتى مع قلّة حيائى رأفتك ورحمتك، وقد رجوت ألا تخيّب بين ذين وذين منيتى).

الحجّة: ما يحتجّ به العبد بين يدي الله تعالى.

والعُدّة ما يستعدّ به العبد من رحمة الله تعالى وفضله لمواجهة الشدائد والأزمات فى الدنيا والآخرة، ولا بدّ للعبد الخاطى، وهو يستقبل الحساب والمساءلة من عند الله يوم الحساب العسير، ويستقبل الأزمات والعقبات الصعبة بعد الموت فى الحياة البرزخيّة ويوم القيامة، يوم يقوم الأشهاد ... لا بدّ له من (حجّة) و (عُدّة).

حجّة يحتجّ بها فى السؤال والطلب، ويقبلها الله.

وعُدّة يقابل بها الأزمات والشدائد فى ذلك اليوم الصعب العسير.

ص: ٦٣

وحجّة العبد بين يدي الله مع ما جاء به من المعاصى التى يكرهها الله ويمقتها، هى جوده وكرمه، فإنّ العبد يحتجّ عند الله بجوده وكرمه تعالى، فيما يطلب من العفو والمغفرة.

وعُدّة العبد فيما يواجهه من الأزمات والشدائد والعقبات، هى رافته ورحمته تعالى.

فهما حُجَّتَانِ وَعُدَّتَانِ:

أما الحُجَّتَانِ، فهما جوده وكرمه.

وأما العُدَّتَانِ فى مواجهة الشدائد والأزمات، فهما رافته ورحمته.

والإمام يسأل الله ألا يخيب أمله بين هاتين الحجتين، وهاتين العدتين: (بين ذين وذين).

وكيف ييأس العبد من ربه تعالى، ولديه حُجَّتَانِ (جوده وكرمه)، وعُدَّتَانِ، هما (رأفته وكرمه)؟

فاستمع إليه (ع) في هذه الرائعة من روائع المناجاة، يقول، معتذراً إلى الله، مسترحماً له، منيباً، مستغفراً الله:

(حُجَّتِي يَا الله، في جرأتِي على مسألتك، مع إتياني ما تكره جودك وكرمك.

وعُدَّتِي في شدَّتِي، مع قلَّة حِيَايِي، رأفتك ورحمتك.

وقد رجوت ألا تُخَيِّبَ بين ذين) الحجتين (وذين) العدتين (منيّتي) رجائي وأمنيّتي ().

وإليك نصّاً آخر من هذا الدعاء الشريف:

ص: ٦٤

دعاء الاضطراب:

(فبمن أستغيث إن لم تقلني عثرتي؟ وإلى من أفزع إن فقدت عنايتك في ضجعتي؟ وإلى من ألتجأ إن لم تنفّس كربتي؟ سيّدي مَنْ لي؟ وَمَنْ يرحمني إن لم ترحمني؟ وفضل مَنْ أؤمل إن عدمت فضلك يوم فاقتي؟ وإلى مَنْ الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي؟).

منازل الاضطراب:

هذه منازل الاضطراب، حيث لا يجد الإنسان أمامه من يستغيث به، ويفزع إليه، غير الله.

وبمن يستغيث إذا انقطع عن الدنيا، وورى في التراب، وتجسّدت أمامه عثراته وسيئاته، غير الله؟

وإلى من يفزع الإنسان، يومئذ، وهو في مضجعه الأخير، لا يجد من يفزع إليه من ذنوبه، غير الله؟

وإلى من يلتجأ في ذلك اليوم الرهيب، غير الله؟

وإلى من يفر بذنوبه إذا انقضى أمدّه في هذه الدنيا، غير الله؟

يومئذ يدرك الإنسان معنى الاضطراب حق الإدراك.

معنى الاضطراب:

والاضطراب هو أن يفقد الإنسان، أمامه مسالك الخيارات، كلّها، إلا مسلكاً واحداً، يضطرّ إليه.

فلو أن إنساناً أراد أن يغادر محلّ عمله إلى داره، لوجد أسباباً كثيرة للوصول إلى داره من وسائل النقل، ولكن إذا حدث خلل في الطائرة التي يُقلّها على

ارتفاع خمسة وعشرين ألفَ قدم من الأرض، وأخذت تهتز كالسعة في أعماق الجوِّ، فلا يبقى خيار للمسافرين إلا اللجوء إلى الله تعالى ... فلو أن أهل الأرض جميعاً أرادوا أن ينقذوهم لم يستطيعوا إنقاذهم.

هذا هو معنى الاضطراب. يفقد الإنسان كلَّ الخيارات إلا مسلكاً واحداً يضطر الإنسان إليه، ولا تبقى له مندوحة ولا سعة في الاختيار.

وهذه الحالة من الاضطراب عند اللجوء إلى الله تعالى في الدعاء هي التي تشير إليها آية سورة النمل في استجابة الدعاء أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكْشِفُ السُّوءَ [النمل: ٦٢] .. فإن من يلجأ إلى الله، مضطراً، ولا يجد غير الله من يلجأ إليه، لا تفوته الإجابة البتة، إلا أن يكون في تأخير الإجابة أو تبديلها مصلحة يعرفها الله تعالى ولا يعرفها العبد ٥٧.

وإذا أراد العبد أن يدعو الله تعالى في حاجة من حاجاته لدنياه أو آخرته، عليه أن يقبل على الله بالدعاء في حالة الاضطراب، ليشمله وعد الله تعالى بالاستجابة لدعائه في آية سورة النمل.

روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم (ع):

(ادعني دعاء الحزين الغريق، الذي ليس له مغيث. يا عيسى! سلني، ولا تسئل غيري، فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة) ٥٨.

وفي مناجاة لأمر المؤمنين (ع): (إلهي لا تشبه مسألتى مسألة السائلين، لأن السائل إذا يُمنع امتنع، وأنا لا غناء بي عما سألتك) ٥٩.

الانقطاع والاضطراب:

ويتساءل المؤمنون: وآتينا أن نحقق حالة الاضطراب في نفوسنا وفي دعواتنا .. وهي حالة تكوينية واقعية، تحصل حيناً ولا تحصل أحياناً... وليس في كلِّ حين يشعر الإنسان بالاضطراب في الدعاء، كما يشعر ركاب الطائرة التي تتعرض في أعماق الجوِّ للخلل الفني؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إن كلَّ الناس في كلِّ حاجاتهم - بدون استثناء - في حالة الاضطراب إلى الله، غير أن وعي الاضطراب لا يتسنى لكلِّ أحد إلا نادراً.

٥٧ (١) راجع كتاب الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام)، للمؤلف.

٥٨ (٢) وسائل الشيعة ٤/ ١١٧٤، ح ٨٩٥٨.

٥٩ (٣) البلد الأمين: ٣١٦.

فما من حاجة للإنسان إلا والإجابة فيها بيد الله تعالى، وحسب، والأسباب التي يسعى إليها الناس في قضاء حوائجهم كلها من عند الله.. خاضعة لأمر الله، ولا تستجيب للإنسان إلا بإذن الله، فلو طلب الإنسان الرزق في السوق، ووجد أبواب الرزق أمامه مفتوحة في السوق، باباً باباً، فليس معنى ذلك أن أمامه مجموعة من الخيارات في ابتغاء الرزق.

فإن هذه الأبواب كلها من خلق الله وخاضعة لسلطان الله، يملك الله تعالى ازمتها ويحكمها ويتحكم فيها، ويقبضها ويبسطها، وكم من نشيط ذكي يذهب إلى السوق فتغلق عليه أبواب الرزق، فلا يجد سبيلاً إلى الرزق، في عرض السوق وطوله.

وكم من ضعيف بليد يرزقه الله تعالى ويبسط له أبواب الرزق، وهذا هو معنى التوحيد في الرزق. يقول تعالى:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا. [هود: ٦].

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. [الذاريات: ٨].

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ. [سبأ: ٢٤].

ص: ٦٧

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الرعد: ٢٦].

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [سبأ: ٣٦].

وليس هذا بمعنى أن الإنسان لا يطلب الرزق من أبوابه، فإن الله تعالى يأمر الناس أن يطلبوا أرزاقهم من أبوابها.

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. [الملك: ١٥].

ولكن معنى ذلك أن يعرف الإنسان أن أبواب الرزق وأسبابه كلها بيد الله، وأن هذه الأسباب جميعاً خاضعة لأمر الله، تعمل بإذن الله وأمره، سخرها الله تعالى للإنسان بإذنه، فلو شاء أن يمنعها لم تتيسر لأحد.

فإذا وعى الإنسان هذه الحقيقة التوحيدية الكبرى، عَلِمَ أن الرزق بيد الله وحسب، ولا يرزقه أحد غير الله، وَعَلِمَ أن الشفاء بيد الله تعالى فقط، وأن الطب والدعاء أسباب سخرها تعالى لعلاج.

وَعَلِمَ أن النصر بيد الله تعالى فقط وأن السلاح والقيادة والعدة والعدد والتخطيط أسباب سخرها الله لنا.. وإذا شاء الله عطل هذه الأسباب ونقضها وحال بيننا وبين النصر.

فقد نصر الله تعالى المؤمنين ببدر وهم أذلة ضعفاء وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ. [آل عمران: ١٢٣].

وَهَزَمُوا فِي حُنَيْنٍ. وَهُمْ كَثْرَةٌ، أَقْوِيَاءُ، سَادَةُ الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَزَقَهُمُ النِّصْرَ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً. [التوبة: ٢٥].

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً. [البقرة: ٢٤٩].

ذلك كله لنعلم أن النصر من عند الله. فقط.

وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. [آل عمران: ١٢٦]، [الأنفال: ١٠]

وَأَنْ الشِّفَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

ص: ٦٨

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. [الشعراء: ٨٠].

وَأَنْ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا. [هود: ٦].

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الرعد: ٢٦].

أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الزمر: ٥٢].

لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. [الشورى: ١٢].

وَإِذَا وَعَى الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ يَعْرِفُ أَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ.

فَإِذَا سَعَى إِلَى الرِّزْقِ، فَإِنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَى اللَّهِ فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ.

وَإِذَا سَعَى إِلَى الشِّفَاءِ عَرَفَ أَنَّ الشِّفَاءَ بِيَدِ اللَّهِ، وَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَى اللَّهِ فِي تَحْصِيلِ الشِّفَاءِ.

وَإِذَا سَعَى إِلَى النَّصْرِ عَرَفَ أَنَّ النَّصْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى تَحْقِيقِ شَيْءٍ مِنَ النَّصْرِ إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ.

عِنْدئذٍ يَعِي الْإِنْسَانُ مَعْنَى الْاضْطِرَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ وَكُلِّ حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِهِ.

وَكُلُّ دَعَاءٍ لَهُ عِنْدئذٍ يَكُونُ عَنْ اضْطِرَارٍ، وَيَقْتَرِنُ بِالِاسْتِجَابَةِ، كَمَا وَعَدَنَا اللَّهُ تَعَالَى، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ أَوْ تَبْدِيلِهِ مَصْلَحَةً لِلْعَبْدِ لَا يَعْرِفُهَا الْعَبْدُ، وَيَعْرِفُهَا اللَّهُ.

وَهَذَا هُوَ وَعَى الْاضْطِرَارِ. وَكُلُّ النَّاسِ فِي كُلِّ شُؤْنِهِمْ مُضْطَرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ص: ٦٩

٦٠

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. [فاطر: ١٥].

وَالْفَقْرُ هُوَ الْاضْطِرَارُ، وَلَا مَعْنَى لِلْفَقْرِ غَيْرَ الْاضْطِرَارِ.

وإنّ لو عى الاضطراب مفتاحاً إذا عرفه العبد شرح الله صدره للاضطراب إليه فى حالات الرخاء، وأشعره الاضطراب فى اليسر والسعة، وهذا المفتاح هو قوله (ص)، كما فى الرواية:

(إسألوا الله عزّ وجلّ مابدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل، فإنه إن لم ييسر لم يتيسّر) ٦١.

إنّ الإنسان لا ينال شيئاً من أسباب الرزق والعافية والعلم والزواج والذرية إلا بتوفيق وتيسير من الله. فإن لم ييسّر الله تعالى لعبده أبواب ذلك وأسبابه لا يتيسر له.

ولكن من يعى هذا الاضطراب من الناس قليل. إن الناس مضطرون إلى الله، ولكنهم لا يعون هذا الاضطراب.

والاضطراب فى آية النمل هو وعى الاضطراب، وليس واقع الاضطراب.

ووعى الاضطراب هو الانتقطاع إلى الله، حيث يقطع الإنسان أمله ورجاءه عن كلّ الأسباب، ويحصر أمله ورجاءه فى الله تعالى، فإنه مسبّب الأسباب.

فإن الانتقطاع إلى الله ذو وجهين:

الوجه الأول: هو القطع عن كلّ سبب غير الله.

والوجه الثانى: هو حصر الطلب والسؤال والرجاء فى الله تعالى.

والانتقطاع عمل اختياري، يقطع فيه الإنسان باختيار ومعرفة، أمله وطلبه عن كلّ سبب غير الله، ويحصر كلّ أمله ورجائه وطلبه فى الله تعالى، فيدعو الله تعالى فى الرخاء دعاء المضطرّ.

وفى الدعاء عن علىّ بن الحسين زين العابدين (ع):

ص: ٧٠

(واجعلنى ممن يدعوكم مخلصاً فى الرخاء، دعاء المخلصين المضطّرين لك) ٦٢.

ويقول (ع) أيضاً: (اللهم إنى أخلصت بانقطاعى إليك، وأقبلت بكلى عليك، وصرفت وجهى عمّن يحتاج إلى رفدك، وقلبت مسألتى عمّن لا يستغنى عن فضلك، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه فى رأيه، وزلّ من عقله) ٦٣.

كيف يلجأ الإنسان إلى الله فى أيام اضطرابه؟

إذا عرف الإنسان اضطرابه إلى الله تعالى فى منازل الآخرة، وعرف أن لا سبيل له إلى تجاوز ذلك اليوم، ولا بدّ له من استقبال تلك المنازل، ولا خيار له فى تلك المنازل الصعبة إلا اللجوء إلى الله .. فلا بدّ له من أن يسعى فى الحياة الدنيا، قبل أن يفارقها، إلى تحصيل مرضاء الله لتلك المنازل فى الآخرة.

٦١ (١) مكارم الاخلاق للشيخ الطبرسى ص ٢٧٠ منشورات الشريف الرضى، وبحار الأنوار: ٢٩٥ / ٩٠.

٦٢ (١) الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٢.

٦٣ (٢) الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٨.

وسبيل الإنسان لتحقيق مرضاة الله في تلك المنازل الرهيبة هي طاعة الله تعالى والاستجابة لأمره في الدنيا.

تأملوا في هذه الآية الكريمة: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. [الشورى: ٤٧].

يدعو الله تعالى عباده للاستجابة لأمره في الحياة الدنيا، قبل أن يأتي اليوم الموعود الذي لا مرد له، ولا يمكن تجاوزه ... وعندئذ لا ملجأ لكم من الله إلا الله، ولا مجال للإنسان من الهروب عن الله، ما لكم من ملجأ يَوْمَئِذٍ، ولا ينفعه إنكار ذنوبه وسيئاته بين يدي الله، وما لكم من نكير.

ص: ٧١

عودة إلى دعاء الاضطراب:

ثم يقول (ع): (سيدي لا تعذبني وأنا أرجوك).

إن الله تعالى كريم، وواهب الكرم للكرام. والكريم لا يعذب من يرجو عفوّه وتجاوزه.

وإن الله عند حسن ظن عبده، في الحديث القدسي:

(أنا عند ظنّ عبدي، فلا يظن بي إلا خيراً) ٦٤.

وعن رسول الله (ص):

(ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة).

وأوحى الله إلى موسى بن عمران (ع):

(ما دعوتني ورجوتني فأني سامع لك) ٦٥.

وعن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال:

(إذا دعوت فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب) ٦٦.

وفي دعاء كميل الذي علمه أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد النخعي (رحمه الله):

(يا مولاي فكيف يبقى في العذاب، وهو يرجو ما سلف من حلمك؟ أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يحرقه لهيبها، وأنت تسمع صوته وترى مكانه؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها، وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين أطباقها، وأنت تعلم صدقه؟ أم كيف تزجره زبانيته، وهو يناديك يا ربه؟ أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتركه فيها؟ ... هيهات ما ذلك الظن بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مُشبه لما عاملت به الموحدين من برک وإحسانك).

٦٤ (١) الميزان: ٣٧ / ٢.

٦٥ (٢) وسائل الشيعة: ١١٠٥ / ٤.

٦٦ (٣) أصول الكافي: ٥١٩، ووسائل الشيعة: ١١٠٥ / ٤.

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمة

رسالة الحقوق:

هذه الرسالة رسالة جلييلة، جمّة الفوائد، غزيرة المنافع، كتبها الإمام زين العابدين (ع) في تبيان وتنظيم الحقوق الثابتة على الإنسان.

وقد روى هذه الرسالة عن زين العابدين (ع) جمع من المحدثين منهم الشيخ الصدوق في (الخصال) وحسن بن عليّ بن شعبة بن الحسين الحرّاني في (تحف العقول)، وابن طاووس في (فلاح السائل).

ولا يسعنا الآن أن نتوقّف عند هذه الرسالة بالشرح، ولكننا نشير قبل أن نذكر نصّ الرسالة، إلى مجموعة من النقاط، هي التأمّلات الأولى المقتبسة من هذه الرسالة.

١- مبدأ الحقوق كلّها هو الله تعالى:

هذه مسألة محوريّة هامّة يفتتح بها الإمام عليّ بن الحسين (ع) رسالته في الحقوق، فيقول:

(اعلم أن الله عزّ وجلّ حقوقاً محيطه بك في كلّ حركة تحرّكتها أو سكنته سكنتها).

ثمّ يفصّل الإمام الحقوق التي جعلها الله تعالى على عباده إلى مجموعة من الحقوق:

أعظمها حقّ الله على عباده

ثمّ الحقّ الذي جعله الله للإنسان على نفسه

ثمّ حقوق أفعاله عليه (مثل صلاته وصومه)

ثمّ حقوق الأئمّة على الرعايا

ثمّ حقوق الرعايا على الأئمّة

ثمّ حقوق الأرحام بعضها على بعض

ثمّ حقوق ذوى المعروف

ثمَّ حقَّ الإمام في الصلاة، وحق الجار، والشريك، والغريم، والخليط، والخصم الذي يدعى على الإنسان أو يدعى عليه، والمستشير، والناصح، والمستنصَح، والسائل، والمسؤول، كانوا من المسلمين أم من أهل الذمَّة. وهذه الحقوق كثيرة، وكلها تثبت على الإنسان بحكم الله وتشريعه وجعله.

وهذه مسألة مهمَّة (أصوليَّة) في الإسلام، وتترتب على هذه القضية قضايا كثيرة ولا يثبت في دين الله لأحد على أحد حقّ إلا بحكم وتشريع وجعل من الله، والله تعالى مبدأ كلِّ حقٍّ وأصله في حياة الإنسان، تجاه أيِّ شخص أو أيِّ شيء.

من هذا المنطلق لا يثبت لأحد على أحد ولاية وطاعة بغير إذن الله وأمره، وما لم يصلنا هذا الإذن والأمر من جانب الله، فلا تثبت ولاية لإنسان على إنسان، بصورة شرعيَّة، ما لم يكن ذلك بإذن وأمر من الله تعالى، سواء كان الإذن والأمر عامين أم كان خاصين.

٢- موقع المسؤولية في حياة الناس:

ما هو مركز الإنسان في الحياة؟

ص: ٧٤

هل هو الولاية والسيادة على نفسه وما يتعلّق به، والتحرّر من كلّ سلطان وولاية عليه، إلا ما يقرّره لنفسه من ولاية الأنظمة والقوانين؟

أم هو المسؤولية والطاعة تجاه الله تعالى؟

المذهب الديمقراطي، وهو المذهب السياسيّ الشائع اليوم بين الأنظمة في العالم يذهب إلى الاتجاه الأوّل، ويرى أنّ موقع الإنسان في الحياة موقع الولاية والسيادة المطلقة على نفسه، ولا تصحّ سيادة أحد على أحد إلا بقدر ما يتنازل الإنسان للنظام والهيئة الحاكمة والقانون من حريته بإرادته واختياره

وهذه النظرية في جذورها نظرية ماديّة وإن كان الملتزمون بها مسلمين أو من أهل الكتاب ... فإن أصل النظرية قائم على نفى سلطان الله تعالى التشريعي وحقه في تقرير مصير عباده ... وهذا هو معنى سلطان الإنسان على نفسه وتحريره من أيّ سلطان آخر إلا بقدر ما يتنازل له باختياره.

ونفى سلطان الله تعالى وحقّه على الإنسان بمعنى رفض الإيمان بالله تعالى رأساً، فإن الإيمان بالله تعالى الخالق المالك المهيمن المدبّر يعادل الاعتراف بسلطان الله وحقّه المطلق على الإنسان ومصيره في الحكم والتشريع.

ولذلك قلنا إنّ هذه النظرية في أصولها وجذورها ماديّة، إذا أخذنا ملازماتها بنظر الاعتبار.

وهذا الذي شرحناه بلغه العقل من ولاية الله تعالى المطلقة وحقّه المطلق على الإنسان ونفى أيّ سلطان آخر في حياته، غير سلطان الله ... هو ما يقرّره القرآن الكريم بلغه التشريع. يقول تعالى:

إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ [يوسف: ٤٠]، [الأنعام: ٥٧].

وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ [الأعراف: ٣].

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ [هود: ٢٠].

ص: ٧٥

وهذه الآيات وغيرها في كتاب الله صريحة في نفى أية حاكمية وسيادة في حياة الإنسان، سواء كانت هذه السيادة المنفية سيادة الآخرين عليه، أم ولايته هو على نفسه، فإن الآيات الكريمة صريحة في حصر الولاية والسيادة في حياة الإنسان في الله تعالى إن الحكم إلا لله، ويتضمن الحصر السلب والإيجاب معاً، سلب ولاية الإنسان على نفسه وولاية الآخرين عليه، وإيجاب ولاية الله تعالى عليه.

وهذا الحكم الثابت في القرآن بلغة التشريع تحدثنا عنه قبل قليل بلغة العقل.

وعليه فلا يكون مركز الإنسان في الحياة الدنيا، بموجب حكم العقل والشرع، مركز الولاية والسيادة وإنما مركز المسؤولية والطاعة لله تعالى.

وكلّ الولايات والحقوق الثابتة للإنسان أو عليه في الحياة الدنيا، لا بدّ أن تأتي في امتداد ولاية الله وسلطانه عليه، ومن دون ذلك فلا تصحّ ولاية في حياة الإنسان له على الآخرين، أو للآخرين عليه.

وهذا الموقع الذي شرحناه بإيجاز هو ما يقرّره زين العابدين (ع) في رسالة الحقوق.

يقول (ع) ما مضمونه: إنّ لله عزّ وجلّ حقوقاً تحيط بالإنسان في كلّ حركاته وسكاته.

ثم يفصل الإمام أمّهات الحقوق الثابتة للإنسان وعلى الإنسان، فيعد الإمام (ع) ذلك امتداد لحق الله عليه، وجعله وتشريعه في حقه.

٣- الحقوق التي تنظّم شبكة العلاقات:

إن تنظيم هذه الشبكة الواسعة للعلاقة والارتباط والانتماء التي تربط الإنسان بالآخرين: وبأهله وقومه وأبنائه وآبائه وأمّهاته وأبناء وطنه وولاء الأمر وأهل ملته ودينه وغيرهم من الناس على وجه الأرض ... شيء أساسي في سلامة الفرد

ص: ٧٦

والمجتمع ... فإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أصول ونظام صحيح يسعد به الفرد والمجتمع، وإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أساس الاستثثار، والاستثمار، والاستكبار، والاستعباد، والخداع، والتغريب، والتضليل، والظلم ... شقّى به الفرد والمجتمع، وكانت هذه الشبكة مصدر حروب وخلافات وظلم وإرهاب في حياة الناس.

لذلك فإن تنظيم هذه الشبكة وتأسيسها على أسس صحيحة هو سبيل سعادة الإنسان وسلامته في الدنيا والآخرة.

والذي يقرأ رسالة الإمام عليّ بن الحسين (ع) في الحقوق يجد أنّ الإمام زين العابدين (ع) يرسم هذه الشبكة بأوسع مدى يمكن أن تمتدّ إليه علاقات الإنسان، وتشمل حتى خصومه في القضاء والدعوى وأهل الذمة، من غير الإسلام.

ويجعل أساس هذه الشبكة (الحق)، والآلية التي تنظّم العلاقات بين الإنسان والأطراف الأخرى هي الحق أيضاً.

وإذا كان الحق أساساً لتنظيم العلاقات داخل هذه الشبكة، فإنه يسع الجميع، ومن يضيق عليه الحق، فإن الباطل أضيق عليه.

وسلام الله على أبي الحسن على (ع)، إذ كان يقول:

من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق ٦٧.

فإن بعض الناس يهربون من العدل والحق، لأنهم يجدون فيهما تضيقاً عليهم ... ولو أمعنوا النظر وتدبروا في الأمر، ونظروا نظرة أعمق إلى الأمر، وجدوا أن الباطل والجور اللذين يهربان إليه أضيق عليهما في عاقبة الأمر.

ص: ٧٧

٤- الأبعاد الأربعة للشبكة:

من خلال كلمات الإمام زين العابدين (ع) نجد أن شبكة العلاقات في حياة الإنسان ذات أربعة أبعاد:

١- البعد الصاعد.

٢- البعد النازل.

٣- البعد الأفقي.

٤- البعد الذاتي.

وهذا أوسع ما يمكن أن يتصوره الإنسان لشبكة العلاقات في حياة الإنسان. وقد وجدنا هذه الأربعة في رسالة الإمام زين العابدين (ع) في الحقوق.

ومبدأ الأبعاد الأربعة كلها هو الله سبحانه كما قلنا، وكل الحقوق الجارية على هذه الأبعاد الأربعة تثبت بأمر الله تعالى وجعله وتشريعه.

وإليك توضيح الأبعاد الأربعة.

١- البعد الصاعد في علاقة الإنسان بالله تعالى، وأنبيائه (عليهم السلام)، وأولي الأمر الذين وُكِّلهم الله تعالى أمره، وسأسسه في الرعاية والملك والعلم، كما ورد في رسالة الحقوق، وكل من له ولاية وقيومة على الإنسان وحقوقهم عليه ... فهذه طائفة واسعة من الحقوق تبدأ بحقوق الله تعالى على عبده ثم حقوق ولاة الأمر عليه ثم حقوق القيميين عليه.

٢- البعد النازل، وهو الحقوق الثابتة للإنسان على من يتولى أمرهم، من رعاياه، وأبنائه وبناته وأهله، إذا كانوا تحت قيمومته وإجرائه، وخدمه، ومن يسوسهم في الولاية والسلطان أو في الملك أو في العلم ... ومن يقع على هذا الخط.

ص: ٧٨

٣- البعد الأفقيّ، وهو الحقوق الثابتة على الإنسان تجاه أصحابه، وجلسائه، وجيرانه، وشركائه، وخصومه، ومن يستشيرهم، ومن يستشيرهم، ومن ينصحهم، وضيوفه وغيرهم، والأمة بعرضها العريض ممن يقع على هذا الخطّ.

٤- البعد الذاتيّ، وهو علاقة الإنسان بنفسه وجوارحه وأفعاله. وسوف نتحدّث عنه إن شاء الله في نقطة قادمة.

هذه هي الأبعاد الأربعة لشبكة العلاقات في رسالة الإمام عليّ بن الحسين (ع)، وهي أوسع ما نعرف من شبكة وتنظيم لعلاقات الإنسان.

٥- الحقوق الذاتية:

هذا أفق جديد من العلاقات والحقوق فتحه القرآن لأوّل مرّة في تاريخ الفكر الإنساني، في علاقة الإنسان بنفسه وحقّه على نفسه، ولا نعرف لهذا الفكر سابقة قبل القرآن.

ومن العجب أنّ علاقة الإنسان بنفسه، وحقّه عليها وظلمه لها أو إحسانه إليها، من القضايا التي يحسّ بها الإنسان إحساساً وجدانيّاً، ولكن لم يكتشف علم النفس هذه العلاقة، ولم يكتشف القانون والحقوق وما يترتّب على هذه العلاقة من قوانين وحقوق من قبل القرآن، والقرآن أوّل كتاب يرفع الستار عن هذا الأفق الواسع في علاقات الإنسان.

ويقرّر القرآن بوضوح أن الإنسان قد يجهل نفسه إنّما عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: ٧٢].

يعني ظلوماً لنفسه جهولاً لها، يظلم نفسه ويجهلها.

ص: ٧٩

وقد يكون الإنسان ممن آتاهم الله نوراً يرى به نفسه سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٤].

والإنسان إذا رأى نفسه، يرى فيها كبرى آيات الله تعالى.

وقد يهلك الإنسان نفسه وَ إِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ [الأنعام: ٢٦].

وقد يكذب الإنسان على نفسه انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ٢٤].

وقد يخسر الإنسان نفسه وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ١ - ٢] يعني يخسر نفسه، وهي الخسارة الكبرى التي لا تعوض.

وقد يظلم نفسه وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

وقد يمقت الإنسان نفسه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ، [غافر: ١٠].

والحديث في هذا الموضوع طويل، تحدّثنا عنه في الجزء الرابع من كتاب (في رحاب القرآن). ومن يحبّ أن يتابع هذا الموضوع الشيق فعليه أن يراجع هذا الكتاب.

والعلاقة تستتبع الحق ... ففي كل علاقة حق، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في النقاط المتقدمة، فيثبت للإنسان حق على نفسه، ولجوارحه عليه حق.

يقول الإمام زين العابدين (ع) في هذه الرسالة: (ثم ما أوجب الله عز وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عز وجلّ للسانك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عز وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً ... ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك).

ص: ٨٠

إذن: الإمام (ع) يقسم الحقوق إلى ثلاث طوائف

حق الله تعالى على الإنسان وهو أعظم هذه الحقوق جميعاً، ثم حق نفسه عليه، وتأتي في الدرجة الثانية، ثم يخرج الحق منه إلى غيره، فيشمل الآخرين.

والطائفة الثانية من هذه الحقوق هي حق الإنسان على نفسه.

٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه:

إذا كانت علاقة الإنسان بنفسه من رقائق ثقافة القرآن، فإن علاقة الإنسان بأفعاله أرق من ذلك ... إن أفعال الإنسان وحركاته هي جهده الذي يتبلور في صورة صلاة أو جهاد أو سعى إلى الرزق أو لهو أو غش أو خيانة.

إن هذا الجهد الذي يصرفه الإنسان يمكن أن يكون أمانة أو يكون خيانة، ويكون صدقاً، أو يكون كذباً، يكون صلاحاً، أو يكون فساداً، يكون تقوى، أو يكون فسوقاً ... فإذا وجه الإنسان جهده نحو الفسوق فإن هذا الجهد الذي آتاه الله تعالى يسأله يوم القيامة، لم وجهه باتجاه الفسوق؟

وإذا وجه الإنسان جهده نحو الصلاة، ولكنه لم يؤتها حقها من الخشوع والإقبال، فإن هذا الجهد يسأله يوم القيامة، لم لم يؤته من الإقبال والخشوع ما يستحق؟ ... وهكذا ... كل جهد الإنسان يتبلور على هيئة عمل صالح أو فاسد يسأل الإنسان يوم القيامة عن كل تقصير لصاحبه تجاهه ... وهذا أرق ما نعرف في علاقة الإنسان بنفسه وجهده.

يقول علي بن الحسين (ع):

(ثم جعل عز وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً).

إن صيامه يشكوه إلى الله تعالى يوم القيامة ويسأله إذا اغتاب المؤمنين في صيامه، ولم يكف لسانه عن الغيبة ولم يكف يده عن العدوان على الآخرين.

ص: ٨١

وصدقته تشكوه إلى الله تعالى يوم القيامة، وتسأله، إذا كان يُعرف بصدقته ويظهرها، فيفقد قيمتها ... وهكذا تشكوه عبادته إلى الله تعالى إذا كان يرائي ويتظاهر بها ...

٧- التبادل في الحقوق:

هذه الحقوق تجرى على الإنسان وللإنسان بصورة متبادلة فيثبت عليه للآخرين الحق، كما يثبت له على الآخرين، إلا الله تعالى، فإن الثابت على العبد هو أداء حق الله تعالى إليه، وأمّا من جانب الله تعالى فليس إلا الفضل على عباده.

ومن تلك الحقوق المتبادلة الواردة في رسالة الإمام زين العابدين (ع) حق الأب على أبنائه وبناته وبالعكس وحق الأخ على أخيه وبالعكس.

وحق المولى على مولاه الذى أنعم عليه وبالعكس.

وحق الجليس على الجليس.

وحق الجار على الجار.

وحق الصاحب على الصاحب.

وحق الشريك على الشريك.

إلى آخر هذه الحقوق، وهى جميعاً متبادلة بين الطرفين، وكما يثبت على الإنسان، يثبت له أيضاً.

والآن، بعد هذه الجولة فى التأمّلات التى اقتبسناها من رسالة الإمام على بن الحسين زين العابدين (ع) نذكر نصّ هذه الرسالة، برواية الصدوق (رحمه الله) فى الخصال ... الله تعالى توفيقاً لشرح هذه الرسالة الجليلة إن شاء الله تعالى.

ص: ٨٢

رسالة الإمام زين العابدين (ع) فى الحقوق:

(اعلم رحمك الله أن الله عليك حقاً محيطاً بك فى كلّ حركة حرّكتها، أو سكّنة سكّنتها، أو حال حللتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آله تصرفت فيها.

فأكبر حقوق الله عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الذى هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرئك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال.

ثم جعل عزوجل لأفعالك عليك حقاً؛ فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً.

ثم تخرّج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثمّ حقوق رعيّتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعب منها حقوق.

فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فإن الجاهل رعيّة العالم، ثم حق رعيتك بالملك من الأزواج، وما ملكت من الإيمان.

وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، وأوجبها عليك حق أمك ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب

ص: ٨٣

فالأقرب، والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجارى نعمته عليك، ثم حق ذوى المعروف لديك، ثم حق مؤذنك لصلاتك، ثم حق إمامك فى صلاتك، ثم حق جليستك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذى تطالبه، ثم حق غريمك الذى يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعى عليك، ثم حق خصمك الذى تدعى عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل، أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمّة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووقفه وسدده.

تفصيل الحقوق:

حق الله:

فأما حق الله الأكبر عليك: فأن تعبدته، ولا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

حق النفس:

وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.

ص: ٨٤

حقوق الأعضاء:

١- وحق اللسان: إكرامه عن الخنا، وتعويده على الخير، وترك الفضول التى لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم.

٢- وحق السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه.

٣- وحق البصر: أن تغمضه عما لا يحل لك وتعتبر بالنظر به.

٤- وحقّ يدك: ألا تبسطها إلى ما لا يحل لك.

٥- وحقّ رجلك: ألا تمشى بهما إلى ما لا يحل لك، فيهما، ولا بد لك أن تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار.

٦- وحقّ بطنك ألا تجعله وعاءاً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

٧- وحقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنظر إليه.

حقوق الأفعال:

١- وحقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وفادةٌ إلى الله عزّ وجلّ وأنت فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ.

فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل، الحقير، الراغب، الراهب، الراجي، الخائف، المستكين، المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه، بالسكون، والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

٢- وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادةٌ إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه عليك.

٣- وحقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك، وسمعك، وبصرك، وبطنك، وفرجك ليستترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

ص: ٨٥

٤- وحقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخرٌ عند ربك عزّ وجلّ، ووديعةٌ التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق بما استودعته علانيةً، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

٥- وحقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمة:

١- وحقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنةً، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك ألا تتعرض لسخطه فتلقى بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢- وحقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وألا ترفع عليه صوتك، وألا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

٣- وأمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

حقوق الرعية:

- ١- وأما حقوق رعيتك بالسلطان: فأَنْ تعلم أنَّهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك، فيجب أَنْ تعدلَ فيهم، وتكونَ لهم كالوالد الرحيم، وتغفرَ لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزَّ وجلَّ على ما آتاك من القوة عليهم.
- ٢- وأما حقَّ رعيتك بالعلم: فأَنْ تعلم أن الله عزَّ وجلَّ إنّما جعلك لهم قيماً، فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تفجر عليهم، زادك الله من فضله، وإن أنت منعت علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يسلبك العلم وبهائه، ويُسقطُ من القلوب محلَّك.
- ٣- وأما حقَّ الزوجة: فأَنْ تعلم أن الله عزَّ وجلَّ جعلها لك سكناً وانساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها، لأنَّها أسيرك، وتطعمها، وتكسوها، فإذا جهلت عفوت عنها.

حقوق الرحم:

- ١- وحقَّ أمك: أن تعلم أنَّها حملتك، حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطى أحدٌ أحداً، ووقتكَ بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتكَ الحرَّ والبرد لتكونَ لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله تعالى وتوفيقه.

- ٢- وأما حقَّ أبيك: فان تعلم أنَّه أصلك، وأنَّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فأحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله.
- ٣- وأما حقَّ ولدك: فأَنْ تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربِّه عزَّ وجلَّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنَّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.
- ٤- وأما حقَّ أخيك: فتعلم أنه يدك وعزرك وقوتك، فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله، ولا عدو للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فان اطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله.

الحقوق النابتة لعامة الناس:

- ١- وأما حقَّ ذي المعروف عليك: فأَنْ تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزَّ وجلَّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.
- ٢- وأما حقَّ إمامك في صلاتك: فأَنْ تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عزَّ وجلَّ، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تاماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقي نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

٣- وأما حقّ جليسك: فأنّ تليّن له جانبيك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيراً.

٤- وأما حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة إلا بالله.

٥- وأما حقّ الصاحب: فأنّ تصحبه بالفضل والانصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله.

٦- وأما حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإن يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلا بالله.

٧- وأما حقّ مالك: فلا تأخذه إلا من حلّه، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوة إلا بالله.

٨- وأما حقّ غريمك الذي يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً.

٩- وأما حقّ الخليط: فلا تغره ولا تغشه ولا تخدعه، وتنفى الله تبارك وتعالى في أمره.

١٠- وحقّ الخصم المدعى عليك: فإن كان ما يدعى عليك حقاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدعى باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوة إلا بالله.

١١- وحقّ خصمك الذي تدعى عليه: إن كنت محقاً في دعوتك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتقيت الله عزّ وجلّ، وتبت إليه، وتركت الدعوى.

١٢- وحقّ المستشير: إن علمت له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

١٣- وحقّ المشير عليك: ألاّ تنهيه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ.

١٤- وحقّ المستنصح: أن تؤدى إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

١٥- وحقّ الناصح: فأنّ تليّن له جناحك، وتصغى إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تنهيه، وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة، فلا تعباً بشيء من أمره على حال، ولا قوة إلا بالله.

١٦- وحق الكبير: توقيره لسنه، وإجلاله لتقدمه بالإسلام قبلك، وترك مقابله عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تتقدمه، ولا تستجعله، وإن جهل عليك احتملته، وأكرمه لحق الإسلام وحرمة.

١٧- وحق الصغير: رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.

١٨- وحق السائل: إعطاؤه على قدر حاجته.

١٩- وحق المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضلته، وإن منع فاقبل عذره.

٢٠- وحق من سرّك الله تعالى ذكره به: أن تحمد الله عزّ وجلّ أولاً ثمّ تشكره.

ص: ٩٠

٢١- وحق من أساءك: أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى: ٤١]

٢٢- وحق أهل ملّتك: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئتهم، وتآلفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك.

٢٣- وأما حق أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجلّ بعهد (٦٨).

ص: ٩١

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع)

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر:

كانت معاناة أهل البيت (عليهم السلام) في عهد بنى أمية عظيمة، فكانوا يلاحقونهم ويطاردونهم في كل مكان بسط بنو أمية فيه سلطانهم .. وقد بلغ ذلك منهم مبلغاً عظيماً، فكانوا يشكون إلى الإمام زين العابدين (ع) ما يلقونه من أذى واضطهاد ومطاردة لهم، ومن التضييق عليهم في أرزاقهم، والتقييد الشديد لحريّاتهم، فكان (ع) يقول لهم:

(فما تمدّون أعينكم؟ لقد كان من كان قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه يؤخذ، فتقطع يده ورجله ويصلب، ثمّ يتلو (ع): أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسُ وَالضَّرَاءُ) ٦٩.

٦٨ (١) الخصال للصدوق: ٥٧٠ ط مؤسسة النشر الإسلامي. ومن لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٨، وتحف العقول للحراني: ٢٥٥، ووسائل الشيعة: ١١/ ١٣١، وبحار الأنوار: ٣/ ٧١، وجامع أحاديث الشيعة: ١٤/ ١٠٧، وأعيان الشيعة: ١/ ٦٣٨ ... وقد حذفنا بعض الفقرات للإيجاز.

٢- بين الكلام والسكوت:

المعروف عند الناس، والموروث من الحكماء والمربين أن السكوت أفضل من الكلام، ولو كان الكلام من الفضّة كان السكوت من الذهب.

وليس هذا بصحيح على إطلاقه.

ص: ٩٢

وإنما قال به الحكماء والمربون، لأن آفات الكلام أكثر من آفات السكوت، ولكن ذلك لا يبرّر تفضيل السكوت على الكلام.

ولو كان السكوت فضيلةً لذهب الحقّ، وذهبت مواريت الأنبياء، ولم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله، وذهب العلم والمعرفة ... (والكلام) هو السبيل إلى العلم والمعرفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ونقل مواريت الأنبياء والأوصياء.

وقد يكون في تفضيل السكوت على الكلام دعم وإسناد لأنّمة الظلم في السكوت عن مظالمهم، وسيئات أعمالهم، وهو ما كان يشيعه بعض المتفكّهة من أعوان الظلمة في تلك الأيام: أن السكوت أفضل من الكلام، والقعود خير من القيام، والاضطجاع خير من القعود... إلى آخر ما كانوا يتخذونه تبريراً لدعوة الناس إلى السكوت عن الظالمين والمنحرفين.

وقد سئل زين العابدين (ع)، عن السكوت والكلام: أيهما أفضل، فقال:

(لكلّ واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت،

لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنما بعثهم بالكلام.

ولا استحقّت الجنة بالسكوت.

ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت.

ولا توقيّت النار بالسكوت.

ولا يجنّب سخط الله بالسكوت.

إنما كلّ الكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس.

ص: ٩٣

إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت (٧٠).

٣- حثّ الشباب على طلب العلم:

لمواجهة الخطوط المنحرفة لم يكن هناك أمر أفضل من أن يتفرغ الشباب المؤمنون الصالحون لطلب العلم، ليقوموا بنشر ما ورثه أهل البيت (عليهم السلام) من رسول الله (ص)، امتثالاً وتنفيذاً لقوله تعالى: فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. [التوبة: ١٢٢].

فكان عليّ بن الحسين (ع) يقول للشباب إذا أقبلوا على طلب العلم:

(مرحباً بكم. أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين) ٧١.

وكان (ع) يقول:

(لو علم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المُهَج وخوض اللُجَج) ٧٢.

وقد تواصل أهل البيت (عليهم السلام)، من بعد الإمام زين العابدين (ع) في دعوة الشباب إلى أن يحملوا عنهم ميراث رسول الله من العلم ... وكانوا يوضحون للناس أن الذي يحملونه من العلم ليس من الرأي والاجتهاد كالذي يحمله غيرهم، وإنما هو علم رسول الله (ص) وحديثه، حملة عنه أهل بيته كابراً عن كابر.

ص: ٩٤

وقد قال عليّ بن الحسين (ع) لرجل شاجره في مسألة من الفقه:

(يا هذا! لو صرت إلى منازلنا، لأريناك أثر جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسُّنة منا؟!) ٧٣.

روى ثقة الإسلام الكليني بسنده عن ابن شبرمة، قال: (ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد (الصادق) إلا كاد أن يتصدّع قلبه. قال: (حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله (ص)، قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جدّه على رسول الله (ص)) ٧٤.

وسأل رجل أبا عبد الله (الصادق) (ع) في مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: أرايت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له:

مَهْ، ما أجبتك من شيء فهو عن رسول الله (ص). لسنا من أرايت في شيء) ٧٥.

وهكذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يحرصون أن يذكرّوا الناس بأن ما لديهم من علم ليس من رأى واجتهاد، كما عند الآخرين، وإنما هو ميراث رسول الله (ص) من الحديث ورثوه عن آبائهم كابراً عن كابر عن رسول الله (ص).

٧١ (٢) أصول الكافي: ١ / ٤٢.

٧٢ (٣) أصول الكافي: ١ / ٥٨.

٧٣ (١) بلاغة عليّ بن الحسين (ع) للحائري: ١٧١.

٧٤ (٢) جهاد الإمام السجّاد (ع): ١٣٩، نقلًا عن الوافي للكاشاني: ١ / ٤٢.

٧٥ (٣) نزهة الناظر وتبئية خاطر للحسين بن محمد بن الحسن، ط / ١٤٠٤: ص ٤٥.

وكانوا يحرصون أن يُوجَّهوا شباب شيعتهم أن يحملوا عنهم هذا العلم، ويبلغوه للناس، كما يحدثون به، دون إضافة أو نقص.

٤- المنهج الصحيح للتقييم:

لقد كانت الفترة فترة هرج ومرج للأفكار والمذاهب، وظهرت في هذه الفترة مذاهب وخطوط دينية وثقافات وقيادات دينية منحرفة... وكان بنو أمية يشجعون هذه المذاهب المنحرفة لغاية في أنفسهم.

ص: ٩٥

وكان أصحاب المذاهب والخطوط الدينية المنحرفة يتفننون في كسب ثقة الناس وخداعهم، وتغريهم.

وقد خُدع بهؤلاء جمع غفير من الناس، أخذوا بضلالهم، وتركوا منهج آل محمد (ص) في الأصول والفروع الذي أوصى به رسول الله (ص) في حياته مرَّات كثيرة ٧٦.

والمشكلة في اغترار الناس بهؤلاء، وإلا فلن تخلو الأرض من دعاء الباطل وأتباع الشيطان.

والسبيل الصحيح لعلاج هذه المشكلة هو تثقيف الناس بالمقاييس الدقيقة لمعرفة الإنسان الصالح، فإن الثقافة الصحيحة في التقييم تُحصِّن الناس في التقييم، وتعلِّمهم أين يضعون ثقتهم، وتحصِّنهم من مزالق الشيطان في العلاقات الاجتماعية، كما أن التقوى تحصِّنهم.

والإمام زين العابدين (ع) يقدِّم إلى الناس المقياس الدقيق للتقييم والتصحيح، ويحذر الناس تحذيراً شديداً من أن يغتروا بالذين يتظاهرون للناس بحسن السمات والهدى، ويُحسنون هذه الصناعة، ويتماوتون في منطقهم، وكأنَّ السعي للآخرة والزهد في الدنيا قد أنهكهم، وسلب منهم قوتهم ونشاطهم، ويتخاضعون في حركاتهم فيحذر الإمام (ع) الناس عن الاغترار بهم.

فإن في الناس من لا يستطيع ركوب الحرام ونيل الدنيا من مواردها المحرمة، لا بسبب التقوى، وإنما لعجزه وضعفه عن نيل الحرام، وليس كلُّ أحد بقادر على ارتكاب الحرام، فإن ارتكاب بعض الحرام يحتاج إلى جرأة وشجاعة قد يفقدها بعض الناس.

ص: ٩٦

فلا يزالون ينصبون للناس فخاخاً حتى يكسبوا ثقة الناس ويتمكَّنوا من الحرام، فإذا تمكَّنوا من المال الحرام لم يصدِّهم عنه تقوى ولا ورع.

ثمَّ يحذر الإمام (ع) الناس من الاغترار بالذين يكفون أيديهم وبطونهم وفروجهم عن الحرام، حتَّى مع التمكن منه ... فإن شهوات الناس في الحرام مختلفة ... فقد يكف أحدهم نفسه عن وجوه من الحرام، ولكنه يقبل على حرام قبيح تسمُّر منه النفس فيرتكبه ... فليس ابتعاده عن الحرام من التقوى والورع في شيء.

٧٦ (١) ومنه حديث الثقلين الذي يرويه ثقات المحدثين من الشيعة، والسنَّة، ومنهم الترمذى ومسلم في صحيحهما، والحديث كما يلي في طائفة من الروايات الصحيحة: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلُّوا بعدى: كتاب الله وأهل بيتي. لن يفرقا حتى يردَّا علىَّ الحوض). والفاظ الحديث في المدونات الحديثية مختلفة ومتعددة، وذلك لأن رسول الله (ص) كان يكررها كثيراً.

وقد يكفّ الإنسان نفسه عن كلّ وجوه الحرام، وهو قادر عليها، فلا يرتكب منها شيئاً... فلا ينبغي أن يغترّ الناس بهم ... حتى يعرفوا حجم عقله ... فقد يكفّ عن كلّ وجوه الحرام، ولكنّه لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده، إذا تصدى لشؤون الناس، أكثر مما يصلحه.

وقد يملك العقل الذى يميّز به الصواب عن الخطأ، فلا ينبغي أن يغترّ الناس بعقله ورشده، حتى يتضح لهم أن عقله يتبع هواه، أم هواه يتبع عقله، وكيف يكون إقباله على الرئاسات الباطلة ... فإذا كان هواه غالباً على عقله، وكان مقبلاً على الرئاسات الباطلة، فيجب على الناس أن يحذروه على دينهم وديناهم، حتى لو كان يحفظ نفسه عن الحرام، ويعفّ بطنه ويده وفرجه عمّا حرّمه الله... فربّ إنسان يترك الكثير من لذاته من وجوه الحلال والحرام ليكسب ثقة الناس، ويبلغ الرئاسات الباطلة، فإذا بلغها حلّ الحرام، وحرّم الحلال، وتخبّط خبط عشواء. هذه المقاييس كلّها باطلة.

والمقياس الحقّ هو أن يجعل الرجل هواه تبعاً لحكم الله، ويحتمل مرارة الحقّ، وإن شقّت عليه على الباطل وإن طاب له.

هذا هو المقياس الذى لا بدّ من أن يتبعه الناس وهذا المقياس هو (التقوى) و (الورع).

ص: ٩٧

وكلّ ما دون (التقوى) و (الورع) فلا ينبغي أن يكسب ثقة الناس.

وإذا أخذ الناس بهذا المقياس أمنوا من الوقوع فى الضلالات، ولكن مشكلة الناس فى الاختيار والتقييم هى أن العواطف تحكمهم، ولو أنّهم حكّموا عقولهم ومقاييس دين الله فى الاختيار، لم يقعوا فى الضلالات التى يقعون فيها.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فى معركة الجمل، وشكى إليه ما يعانى من الشكوك والوساوس فيما يصنعونه من قتال الناس فى الجبهة المقابلة وفيهم أمّ المؤمنين عائشة والصحابيّان المعروفان الزبير وطلحة، فماذا عساه أن يفعل فى هذه المقابلة، وكيف يشهر السيف على جبهة فيها زوجة رسول الله وكبار صحابته؟ فقال (ع) له: (ويلك إنك لملبوس عليك، إعرف الحقّ تعرف أهله).

لقد عاش زين العابدين (ع) فترة صعبة، يتخبّط فيها الناس بين علماء البلاط، والدعاة إلى المذاهب المنحرفة، وحكومات ظالمة طائشة، ومعارضة منحرفة (الخوارج)، وفقهاء يحدّون عن الصراط المستقيم الذى رسمه لهم رسول الله (ص) فى حديث الثقلين، وخطوط ومذاهب فكرية... وليس كلّ الناس يملك القدرة على التشخيص والتمييز، فوضع (ع) فى هذا الحديث الميزان الدقيق لمعرفة الحقّ عن الباطل، والتمييز بين أئمة الهدى وأئمة الضلال.

ولسنا نحن فى عصرنا بأحسن حالاً من العصر الذى كان يعيشه الإمام زين العابدين (ع) ... وهذا الحديث ينفعنا ويثقفنا فى الاختيار، كما كان ينفع الناس فى عصر على بن الحسين (ع).

كلمة الإمام زين العابدين فى معايير التقييم:

فلنستمع إلى الإمام زين العابدين (ع) وهو يوضح لنا النهج الصحيح للاختيار والتقييم.

يقول (ع):

ص: ٩٨

(إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقته، وتخاضع في حركاته، فرويداً، لا يغرنكم.

فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب الحرام منها، لضعف نيّته، ومهانتها، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه، يعفّ عن المال الحرام، فرويداً، لا يغرنكم.

فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شوءاء قبيحة فيأتي منها محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً، لا يغرنكم.

حتى تنظروا ما عُقْدَةُ عقله؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً، لا يغرنكم.

حتى تنظروا، أعم هواه، يكون على عقله، أم يكون مع عقله، على هواه؟ وكيف محبّته للرئاسات الباطلة؟، وزهده فيها؟

فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له: إتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبّس المهاد.

فهو يخبط خبط عشواء، يوفده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّ به - بعد طلبه لما لا يقدر عليه - في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يُبالى ما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقى من أجلها.

فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ص: ٩٩

ولكن الرجل، كلّ الرجل، نِعَمَ الرجل، هو الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرّائها - إن تبع هواه - يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.

فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلى ربكم فتوسّلوا، فإنّه لا تردّ له دعوة، ولا يخيب له طلبه(٧٧).

٥- من أين يتلقّى المؤمنون الحكمة؟

عن الإمام زين العابدين (ع) أنّه قال:

٧٧ (١) الحدائق الناضرة: ٥٨ / ١٠ - ٥٩، وجواهر الكلام: ٣٠٠ - ٣٠١، وسائل الشيعة: ٣١٧ / ٨ - ٣١٨ و ٣٩٤ / ٥، والاحتجاج للطبرسي: ٥٣ / ٢ وبحار الأنوار: ٨٤ / ٢ و ١٨٤ / ٧١ وجامع أحاديث الشيعة: ٤٢٧ / ٦ و ٤٦٤ / ١٣.

(لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة^{٧٨}، فإن أبي حدثني، قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: إن الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحق بها وأهلها فيلقفها)^{٧٩}.

إن حاجة المؤمن إلى الحكمة شديدة وعظيمة لأن الحياة بالنسبة إليه جهاد واجتهاد، جهاد للهوى (وهو الجهاد الأكبر)، وجهاد للطاغوت (وهو الجهاد الأصغر)، واجتهاد في العمل لتحقيق مرضاء الله ولبلوغ الكمال والقرب إلى الله وخلافة الله على الأرض، وهذه الحياة الكادحة تحوجه دائماً إلى الحكمة التي تمنحه البصيرة والنور، وتسدده وتبصره، وتمنحه القوة والعزيمة على طريق ذات الشوكة.

ص: ١٠٠

وهذه كلّها يجدها المؤمن في الحكمة، والحكمة كما ورد في الحديث ضالة المؤمن يبحث عنها ويسعى إليها أينما يجدها، لإنجاح أعماله وجهاده واجتهاده وسعيه وكدحه وتسديدها.

حتى لو كانت الحكمة بيد المنافق والكافر، يسعى إليها المؤمن، وليس على وجه الأرض من هو أحقّ بها منه، فيتلقفها منه كما يتلقف الناس الدينار والدرهم.

إنّ هناك طائفة من الحكماء تؤدي إلى إنجاز المشاريع والأعمال التي ينهض بها الإنسان في حياته ... وهذه الحكماء يكسبها الإنسان بالتجربة والخبرة، وليس بوسع الإنسان أن يكسب بتجاربه الشخصية كلّ ما يحتاجه من عوامل التوفيق والنجاح ... ولا غنى له من أن يتزوّد بتجارب الآخرين وخبراتهم في إنجاز المشاريع والأعمال.

وهذه الخبرات والتجارب قد نكسبها من أناس غير صالحين، إلا أنّها نافعة ومفيدة وضرورية للمؤمنين في مشاريعهم وأعمالهم وتحركهم، رغم أن الذين يحملونها غير صالحين، فلا بدّ وأن نسعى إليها وتلقّاها وتلقفها ونكسبها منهم، وإن كانوا غير صالحين.

وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا خبرات العمل والحركة وتجاربها من أيدي أناس غير صالحين وغير مؤمنين.

فإن الحكمة ضالة المؤمن، كما ورد في الرواية، يتلقفها أينما وجدها، وإن كانت في موضع غير نظيف.

ص: ١٠١

والحكمة لتلجلج (تتردّد) في صدور المنافقين، فإذا نطقوا بها، لم يكن أحد أحقّ بها من المؤمنين، لثلا يبدأوا مشاريعهم وأعمالهم وتجاربهم من نقطة الصفر، وإنّما يتحرّكون من حيث انتهى الآخرون إليه، في تجاربهم وخبراتهم.

وهذا هو ما يريده الإمام زين العابدين (ع) في كلمته التي روينها قبل قليل.

وهذه الكلمة جديرة بأن نتوقّف عندها بعض الوقت.

٧٨ (٢) الكبا المزيلة والأوساخ المتجمّعة على المياه، والخسيسة: الحقيرة.

٧٩ (٣) أمالي الطوسي ص ٦٢٥ وبحار الأنوار: ٩٧ / ٢ وبلاغه الإمام عليّ بن الحسين: ص ٢٢٢.

ماهية الحكمة؟

الحكمة مشتقة من الإحكام، بمعنى الإتقان الذي لا يُبْقَى في العمل ثغرة، ولا ثلمة، ولا خللاً.

ومن خلال استعمالات الكلمة في القرآن والسنة والنصوص والأدبيات الإسلامية نجد أنَّ هذه الكلمة تطلق على ثلاثة معانٍ، على نحو الاشتراك المعنويّ، وهي:

١- الحكمة بمعنى المعارف الحقّة التي لا ينفذ إليها الباطل، نحو معرفة المبدأ والمعاد، ومعرفة الجلال والجمال الإلهيين (معرفة الله ومعرفة صفاته الحسنى)، ومعرفة سنن الله تعالى في الكون والتاريخ والمجتمع، ومعرفة علاقة العبد بالله من الإنابة والمخافة والتوبة والتضرّع والخشية والطاعة والحبّ والشكر والثناء والحمد والدعاء والحياء والتضرّع والسكون إلى ذكر الله وغير ذلك من وجوه العلاقة بالله، وهو محصن العقل والوعى والفهم والبصيرة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [لقمان: ١٢].

ص: ١٠٢

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآية عن الإمام موسى بن جعفر (ع) بأنّها (الفهم والعقل) ٨٠، بمعنى وعى المبدأ والمعاد ووعى الجلال والجمال ووعى موضع العبد من الله تعالى وعلاقته به.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم: ١٢].

وقوله تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [البقرة: ٢٦٩].

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآية الكريمة عن الإمام الباقر (ع) أنّها هي (المعرفة) ٨١.

وعن رسول الله (ص):

رأس الحكمة مخافة الله ٨٢.

وعنه (ص):

خشية الله رأس كلّ حكمة ٨٣.

وعنه (ص):

رأس الحكمة طاعته ٨٤.

٨٠ (١) بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٩٩ ح ١.

٨١ (٢) بحار الأنوار: ١ / ٢١٥ ح ٢٣.

٨٢ (٣) كنز العمال للمتقى الهندي: ح ٥٨٧٣.

٨٣ (٤) كنز العمال للمتقى الهندي: ح ٥٨٧٢.

وهذا باب واسع من الحكمة، وحسبنا منها هذا البيان.

٢- معرفة ثقافة الوحي في حدود الله تعالى في علاقة الإنسان (بنفسه)، و (بالآخرين) من مؤمن وغير مؤمن وأعداء وخصوم وأصدقاء، والقريبين منه والبعداء و (بالطبيعة)، وكيف يتعامل الإنسان مع هذه الأطراف الثلاثة وما يحبه الله وما يمجته، في هذه العلاقات ونهجها وإدارتها.

وهي منظومة واسعة من الحدود الإلهية والأفكار والمفاهيم والمعارف والثقافات النظرية والعلمية التي جاء بها الأنبياء من عند الله تعالى من خلال الوحي في مجال العلاقة بالنفس والمجتمع والطبيعة، وتغلب عليه صفة الموعظة.

ص: ١٠٣

ولعل من ذلك قوله تعالى: وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ [البقرة: ٢٣١].

٣- الوسائل العملية التي تمكن المؤمن من تحقيق أهدافه وغاياته التي يسعى إليها في الحياة الدنيا. وهذه الوسائل تكتسب غالباً بالتجربة والخبرة العملية، كما تكتسب من تجارب الآخرين وخبراتهم.

ولعل إلى ذلك يشير قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل: ١٢٥].

وهذه التجارب والخبرات كثيرة في حقول مختلفة من الحياة مثل التجارب القيادية والإدارية، وتجارب السوق والتجارة، وتجارب العلاقات الاجتماعية، والتجارب العسكرية، وتجارب الحياة الزوجية وغير ذلك، فهذه التجارب تمكن الإنسان من تحقيق غاياته وأهدافه، فإن كان مؤمناً تمكنه من تحقيق رضا الله تعالى والوصول إلى مرضاته، وإن كان فاسقاً ومنافقاً تمكنه من الوصول إلى أهدافه وغاياته أيضاً.

فهى وسائل تمكن الإنسان من تحقيق أهدافه ... كل بحسبه. وقد استعملت هذه الكلمة في المعنى الأخير كثيراً في الأحاديث الإسلامية.

فعن الإمام الباقر (ع): قيل للقمان

: ما الذى أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: ألا أتكلف ما قد كفيته، ولا اضيع ما وليته ٨٥.

وعن الإمام الكاظم (ع) أنه قيل للقمان:

ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيته، ولا أتكلف ما لا يعينى ٨٦.

وعن رسول الله (ص):

إن الرفق رأس الحكمة ٨٧.

٨٤ (٥) آمالي الصدوق: ص ٣٩٤.

٨٥ (١) قرب الإسناد: ٧٢.

٨٦ (٢) بحار الأنوار: ١٣ / ٤١٧.

٨٧ (٣) كنز العمال: ٥٤٤٤.

ص: ١٠٤

بماذا يكسب الإنسان الحكمة؟

القسم الأول والثاني من الحكمة متقاربان ويكتسبها الإنسان بالتقوى، وبذكر الله، ومغالبة الهوى، وغض البصر، وكفّ اللسان عما حرم الله طبقاً لما ورد في مصادر الوحي.

وقد ورد في حديث المعراج المعروف وهو من الأحاديث القدسيّة الشريفة:

يا أحمد! إن العبد إذا جاع وحَفِظَ لسانه عَلَّمَتْهُ الحكمة، وتكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأوّل ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل بها عن عيوب غيره، وأبصره دقائق العلم، حتى لا يدخل عليه الشيطان.

يا أحمد! ليس شيء من العبادة أحبّ إليّ من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العبادة ٨٨.

وقيل للقمان (ع):

(ألست عبد آل فلان؟ قال: بلى. قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، وكفّ لساني، وعفّة طُعْمَتِي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومن زاد عليه فهو فوق، ومن عمله فهو مثلي) ٨٩.

وعن الإمام الصادق (ع):

من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه ٩٠.

ص: ١٠٥

وعن أمير المؤمنين (ع):

القلب يتحمّل الحكمة عند خلو البطن، والقلب يمجّ الحكمة عند امتلاء البطن ٩١.

وعن أمير المؤمنين (ع) أيضاً:

لا تجتمع الشهوة والحكمة ٩٢

. وعن الإمام الصادق (ع):

٨٨ (١) غرر الحكم: حكمة ٢٢٧٢.

٨٩ (٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ١٣/ ٥٠٥ - ٥٠٦ عن تنبيه الخواطر: ٢٣٠ ح ٢. ومجموعة الورام: ٢/ ٢٤٧، ميزان الحكمة: ٢/ ٣٣٣، مستدرک الوسائل: ٩/ ١٨.

٩٠ (٣) الكافي: ٢/ ١٢٨ ح ١.

٩١ (١) تنبيه الخواطر: ٢/ ١١٩.

٩٢ (٢) غرر الحكم: ١٠٥٧٣.

الغضب ممحققة لقلب الحكيم، ومن لم يمتلك غضبه لم يملك عقله ٩٣.

وعن السيّد المسيح عيسى ابن مريم (عليهما السلام):

بحقّ أقول لكم: إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار. ألم تعلموا أنّه من شمش برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلّ تحته وأكّنه؟ وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه.

إنّّه ليس على كلّ حال يصلح العسل في الزقاق ٩٤، وكذلك القلوب ليس على حال تعمر الحكمة فيها، إنّ الزقّ مالم ينخرق أو يقحل ٩٥ أو يتفل ٩٦ فسوف يكون للعسل وعاء، وكذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة ٩٧.

ومن العوامل التي تكسب الإنسان الحكمة التفكير. وقد ورد عن رسول الله (ص) في هذا المعنى: لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحبّ الله فاحبه، ومنّ عليه بالحكمة ٩٨.

ص: ١٠٦

٩٩

إذن الحكمة يتلقاها الإنسان بقدر ما يروّض نفسه بالتقوى، وطاعة الله، وذكر الله تعالى، وكفّ النفس عن الهوى، وكفّ اللسان عن الشرّة، وضبط الجوارح والجوانح عن الحرام، والامتناع عن الاستغراق في اللذات المباحة.

بهذه العوامل الثلاث: (الذكر، والتقوى، والزهد):

ذكر الله تعالى (الذكر).

وكفّ النفس عمّا حرّم الله (التقوى).

والتحرّر عن التعلّق بالدنيا وطيباتها (الزهد).

بهذه العوامل الثلاث يفتح الله قلوب عباده للحكمة وتنزل على قلوبهم الحكمة من عند الله.

٩٣ (٣) بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٥٥، مستدرک سفينة البحار: ٢ / ٩٧.

٩٤ (٤) الزقاق: جمع زق وهو وعاء للسقاء من الجلد.

٩٥ (٥) يقحل: يبيس.

٩٦ (٦) يتفل: تتغير رائحته.

٩٧ (٧) تحف العقول للحارثي: ٥٠٤، بحار الأنوار: ١٤ / ٣٧.

٩٨ (٨) تفسير الميزان: ١٦ / ١١٦.

٩٩ يوسفى غروى، محمد هادى، الإمام زين العابدين، على بن الحسين «عليه السلام» صفحة من دوره الثقافى و جهاده السياسى، ١ جلد.

ولعلَّ الآيَةَ الكريمةَ من سورة (البقرة: ٢٨٢) تشير إلى ذلك: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ.

وقد روى عن أمير المؤمنين (ع):

من خزائن الغيب تظهر الحكمة ١٠٠.

إن هذا القسم من الحكمة تنزل على قلب الإنسان من عند الله، إذا حضر العبد قلبه لاستقبال الحكمة من عند الله، واستقاهها من مصادر الوحي. ولا يجوز ولا يصح أن نأخذ هذا القسم من الحكمة من أي يد، إلا أن نطمئن إلى نظافتها وسلامتها وأمانتها وارتباطها بمصادر الوحي، ولو كان ذلك عبر وسائط عديدة.

قيمة الحكمة في حياة الإنسان:

إن للحكمة دوراً عظيماً في بناء شخصية الإنسان وتمكينه من أهوائه وشهواته، وتجريده عن التعلقات التي تعيقه عن الحركة إلى الله، كما تفتح قلب العبد على فيوضات النور والرحمة النازلة من لدن الله على قلوب الصالحين من عباده، عن رسول الله (ص) أنه قال

(: كاد الحكيم أن يكون نبياً ١٠١.

ص: ١٠٧

وعنه (ص) أيضاً:

كلمة حكمة يسمعها المرء خير من عبادة سنة ١٠٢.

وعن أمير المؤمنين (ع)

(: من خزائن الغيب تظهر الحكمة ١٠٣.

وإن للحكمة من التأثير والنفوذ في قلوب الناس وعقولهم ما يقل نظيره في العوامل الأخرى التي تدخل في تكوين شخصية الإنسان.

عن أمير المؤمنين (ع):

لو القيت الحكمة على الجبال لقلقلتها ١٠٤.

١٠٠ (١) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

١٠١ (٢) كنز العمال: ٤٤١٢٣.

١٠٢ (١) بحار الأنوار: ١٣ / ٤٣٢.

١٠٣ (٢) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

١٠٤ (٣) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٢ ح ٧.

وهي كلمة عظيمة تستوقف الإنسان. لو أنَّ الجبال على شموخها وعظمتها كانت تعي الحكمة لاضطربت من قوّة تأثير الحكمة ونفوذها.

القسم الثالث من الحكمة:

وهذا القسم يأتي إلى النَّاس في الغالب من خلال التجربة والخبرة، التي يكسبها الإنسان بتجاربه الشخصية، كما يكتسبها من تجارب الآخرين، ويخسر الإنسان كثيراً، إذا اقتصر في كسب الحكمة من هذا القسم على تجاربه الشخصية.

إنَّ حياة عقلاء العالم مليئة بالتجارب النافعة في تحقيق الغايات الصعبة، وفي تذليل المهمّات الشاقّة، ولا بدّ للمؤمنين أن يتزوّدوا بما يكسبه الناس (عامّة الناس) من الحكمة، سواءً منهم المؤمن أم المنافق أم الكافر، فإن الحكمة سلاح وقوّة، تمكّن الإنسان أن يحقق غاياته وأهدافه وتُنجح المشاريع التي ينهض بها في علاقته بالناس، وفي إدارة الدولة وقيادتها، وفي إدارة الأعمال والمشاريع الاقتصاديّة، وفي طلب العلم، وفي كسب الأصدقاء، وفي إنجاح الثورة، وفي الإبداع العلميّ والفنّي، وفي قيادة الجيش وإدارته، وفي الدخول في الحروب، وفي المشاريع السياسيّة وأمثال ذلك.

ص: ١٠٨

في هذه المشاريع والأعمال لا بدّ من أن يستعين المؤمنون بتجارب الناس من قبلهم، ويكسبوا هذه التجارب، حتى لا يبدأوا من نقطة الصفر، وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا هذه التجارب، من المؤمنين أو المنافقين أو الكفار ... فإن التجربة سلاح وقوّة، نكسبها من أيّ مصدر نعرفه.

وهذا هو معنى الثالث من الحكمة.

وإلى هذا المعنى من الحكمة تشير نصوص الروايات الإسلاميّة، عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها، ولو عند المشرك تكونوا أحقّ بها وأهلها ١٠٥.

وعن أمير المؤمنين (ع):

الحكمة ضالة كلّ مؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق ١٠٦.

وهذا المعنى هو المقصود بالكلمة التي يرويها الرواة عن زين العابدين (ع) في قوله

(: لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسية، فإن أبي حدّثني، قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: إن الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانّها، حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحقّ بها وأهلها فيلقفها ١٠٧.

٦- الصبر والثبات:

١٠٥ (١) أمالي الطوسي: ٦٢٥.

١٠٦ (٢) نهج البلاغة: حكمة رقم ٨

١٠٧ (٣) بلاغة الإمام عليّ بن الحسين (ع) لشيخ جعفر عباس الحائري: ص ٢٢٢.

كانت الأيام صعبة، وكان بنو أمية يتعاملون مع خصومهم من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بقسوة وضراوة، يلاحقونهم، ويضايقونهم في أرزاقهم، ويحبسونهم، ويقتلونهم، ويطاردونهم.

ص: ١٠٩

ولقد كانت هذه الفترة واحدة من أشقّ الفترات التي مرّت على شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، على أيدي عمال بني أمية وجلاوزتهم.

فكان زين العابدين (ع) يجد فيهم أحياناً تذمراً ووهناً وشكوى، وسؤالاً: متى يكون الفرج من هذا الضيق؟ وكأنّهم كانوا يستبظؤون الفرج الذي وعدهم الله تعالى به، يمدّون أعينهم إلى فرج قريب من كلّ هذا الضيق والعسر، فلا يجدونه، فكان يقول لهم زين العابدين (ع):

فما تمدّون أعينكم؟ ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب! ثمّ يتلو (ع): أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ)

[البقرة: ٢١٤] ١٠٨.

إن الآية التي استشهد بها الإمام زين العابدين (ع) في تثبيت أصحابه وشيعته أمام الإرهاب الأمويّ آية في كتاب الله، وفي ضوء هذه الآية، يستهين الإنسان بما يلقاه في جنب الله من أعداء الله، بالقياس إلى ما كان يلقاه أصحاب الأنبياء (عليهم السلام) من قبلنا، أتلوها عليكم، فاسمعوها:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [البقرة: ٢١٤].

إنّ الطريق إلى الجنة طريق صعب عسير، لا ينالها الناس إلا بعد اجتياز الطريق الصعب العسير، طريق ذات الشوكة.

يقول تعالى: وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران: ١٤١-١٤٢]

ص: ١١٠

إنّ الناس ينشطرون من قبل أن تقوم الساعة وقبل أن يدخل المؤمنون الجنة إلى شطرين، الذين جاهدوا وصابروا، والذين أخلدوا إلى الأرض وتناقلوا عن الجهاد وجزعوا عن القتال ورضوا بالحياة الدنيا، فيرزق الله المؤمنين الذين علم الله منهم الجهاد والمصابرة الجنة، والذين أسفّوا، وأخلدوا إلى الحياة الدنيا، ورضوا بها مرجوون لرحمة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء حاسبهم وعاقبهم على خلودهم إلى الدنيا، وتناقلهم عن القتال في سبيل الله.

يقول تعالى:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [التوبة: ١٦].

ولا يدخل الناس الجنة إلا بعد أن يفرز الله (يعلم الله) الذين جاهدوا منهم، وأخلصوا ولاءهم لله تعالى، ولم يتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين أولياء يسرون إليهم بولائهم وحبهم (وليجه) في السر، فإن الله تعالى خبير بسرهم وعلنهم.

ص: ١١١

٤- الثقافة الوعظية

كان لحكومة بنى أمية دور واسع - كما ذكرنا - في إشاعة الترف والفساد واللهو المحرم في الأوساط الإسلامية في هذه الفترة... وقد أثر ذلك أثراً بليغاً في إبعاد الناس عن الله والقيم الإسلامية الروحية، والأخلاق وعن التفكير في الحياة الآخرة، وكان له أثر بالغ في فساد القلوب وإفراغها من الحالات الإيمانية والمعرفية التي يؤكد عليها الإسلام.

واجه الإمام علي بن الحسين (ع) هذه الحالة المجافية لروح الإسلام وتشريعاته وقيمه، وأخذ بنظر الاعتبار في بناء الجماعة الصالحة مكافحة حالة الترف واللهو والفساد والانغماس في اللذات والشهوات والبعد عن الله ...

وكان منهج الإمام علي بن الحسين (ع) في مكافحة هذه الحالة من الانغماس في شهوات الحياة الدنيا ولذاتها ... هو إشاعة (الدعاء) و (الوعظ) في المجتمع، بشكل عام وفي أوساط هذه الجماعة بشكل خاص.

خطاب الدعاء والوعظ:

و (الدعاء) و (الوعظ) خطابان مؤثران في نفس الإنسان وتربيتها وتذكيرها.

خطاب (الدعاء) خطاب صاعد إلى الله، يرقى بالنفس الإنسانية إلى الله تعالى يناجيه ويخاطبه، ويتضرع إليه، ويطلب منه، ويلتمس لديه، ولهذا الخطاب الصاعد أثر في انتزاع النفس من الدنيا وتشبثاتها بها والانغماس في الشهوات

ص: ١١٢

واللذات.. فإن خطاب الدعاء نحو من العروج إلى الله، بدرجة من الدرجات، وجوهر هذا العروج هو التحرر من الدنيا وعلاقتها.

والخطاب الثاني هو (الخطاب الوعظي). ولهذا الخطاب تأثير كبير في ترقيق القلوب القاسية، وتزهد النفوس المتعلقة بالدنيا وتحريرها من التعلق بالدنيا، ويزيل بشكل واضح الدين الصدا المتراكم على النفوس.

فإن الانغماس في الذات الدنيا ومتاعها، والتعلق بها يترك على نفس الإنسان صداً كبيراً، وريناً، يحجبه عن الله تعالى، ويسلبه الشفافية التي هي أعظم خصائص القلب. وللموعظة تأثير كبير في إزالة هذا الصدا والرين عن القلوب، وإعادة الشفافية إلى القلوب وترقيقها.

ومن مهام الخطاب الوعظي التذكير بالموت وتنبيه الناس إلى عدم وفاء الدنيا بالإنسان، وأنَّ الأجل ينغض عليه لا محالة، فينتزعه من كلِّ تعلقاته بالدنيا في لحظة واحدة.

وهذا التذكير يقصّر أمل الإنسان في الدنيا، وهو دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسية... فإن طول الأمل في الدنيا من أكبر مصائب الإنسان، ولا يحرّره منه إلا التذكير المتصل بالموت، وتقريبه إلى الإنسان.

فإن (الموت) كما هو هادم اللذات، كذلك التفكير والتذكير به يكفكف جماح أهواء النفس ويقصّر أمله في الحياة الدنيا.

الخطاب الدعائي - الوعظي المزدوج:

وعندما يتألف الخطاب الواحد منهما، فيكون دعاءً ويكون وعظاً في وقت واحد فإن أثره في تهذيب النفس وترقيتها يتضاعف ...

ص: ١١٣

وفي التراث الدعائي الذي ورثناه من أهل البيت (عليهم السلام) كثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد (رضوان الله عليه): (اللهم عظم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقصرت بي أعمالي، وقعدت بي أغالي، وحبسني عن نفعي بعد آمالي، وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بخيانتها، ومطالي يا سيدي. فأسألك بعزتك ألا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي).

دعاء كميل نموذج:

(إلهي وسيدي، لأىّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكى، لأليم العذاب وشدّته، أم لطول البلاء ومدّته ... فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك).

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه على بن الحسين (ع) لأبى حمزة الثمالي (رحمه الله):

(وأنقلني إلى درجة التوبة إليك، وأعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عُمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نقلت على مثل حالي، إلى قبري، لم أمهده لِرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي؟ ومالي لا أبكى ولا أدري إلى ما يكون مصيري؟ وأرى نفسي تخادعني، وآيامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسي اجنحة الموت، فمالي لا أبكى؟ أبكى لخروج نفسي، أبكى لظلمة قبري، أبكى لضيق لحدى، أبكى لسؤال منكّر وتكبير إياي، أبكى لخروجي من قبري غريباً ذليلاً حاملاً ثقل على ظهري، أنظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ

ص: ١١٤

الخلايق في شأن غير شأني لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة و ذلة.

وفي أدعية الإمام زين العابدين (ع) الكثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (ع):

ومن نماذج الخطاب (الدعائي الوعظي) المزدوج في كلمات الإمام زين العابدين (ع) دعاء مكارم الأخلاق، يجمع الإمام في خطاب واحد بين الدعاء والتربية الأخلاقية والروحية، وهو الدعاء (٥٥) من الصحيفة السجادية الكاملة. ولا نريد هنا أن نذكر الدعاء بطلوه، فهو دعاء معروف من أدعية الصحيفة الكاملة، يتضمن مفاهيم أخلاقية كثيرة وقيمة، وله شروح كثيرة ومن أفضل الشروح المعاصرة له شرح الشيخ محمد تقى الفلسفى الواعظ الإيراني الفقيه الشهير. ونحن نكتفى بذكر مدخل هذا الدعاء، ونحيل القارئ إلى الصحيفة السجادية الكاملة.

(اللهم صل على محمد وآله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وائته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال).

اللهم وفرّ بلطفك نيتي، وصحّح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني.

اللهم صل على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا تفتني بالبطر، وأعزني، ولا تبتليني بالكبر، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدى الخير، ولا تمحقه بالمن، وهب لى معالى الأخلاق، واعصمنى من الفخر.

ص: ١١٥

اللهم صلّ على محمد وآله، ولا ترفعني فى الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لى عزاً ظاهراً إلا أحدث لى ذلة باطنة عند نفسي بقدرها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ومتّعني بهدى صالح لا استبدل به، وطريقة حق لا أزيغ عنها، ونية رشد لا أشك فيها، وعمرنى ما كان عمرى بذلة فى طاعتك، فإذا كان عمرى مرتعاً للشيطان فاقبضنى إليك قبل أن يسبق مقتك إلىّ، أو يستحكم غضبك علىّ.

اللهم لا تدع خصلة تعاب منى إلا أصلحتها، ولا عائبة أوتب بها إلا حسنتها، ولا أكرومة فى ناقصة إلا أتممتها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وأبدلنى من بغضة أهل الشنآن المحبة، ومن حسد أهل البغى المودة، ومن ظنة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأذنين الولاية ومن عقوق ذوى الأرحام المبرّة، ومن خذلان الأقربين النصرة، ومن حبّ المدارين تصحيح المقة، ومن ردّ الملايسين كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمانة.

اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل لى يداً على من ظلمنى، ولساناً على من خاصمنى، وظفراً بمن عاندنى، وهب لى مكرراً على من كادنى، وقدرة على من اضطهدنى (...).

وما يهمنّا الآن فى هذه النقطة من البحث (الخطاب الوعظي) عند الإمام على بن الحسين (ع)، ودوره فى تربية الجماعة الصالحة.

ص: ١١٦

نموذج من الخطاب الوعظي لزّين العابدين (ع):

ونذكر هنا نموذجاً واحداً من مواظ الإمام عليّ بن الحسين (ع) برواية ثقة الإسلام الكليني في (روضة الكافي)، ويرويه أيضاً حسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني في (تحف العقول)، والصدوق في (الأمالي).

نصّ الخطاب:

روى ثقة الإسلام الكليني في الروضة بسنده المتصل إلى سعيد بن المسيّب، قال: كان عليّ بن الحسين (ع) يعظ الناس، ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة في كلّ جمعة في مسجد رسول الله، وقد حُفِظَ عنه وكتب عنه، وكان يقول فيما يقول:

(أيّها الناس! اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّرکم الله نفسه.

ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه. يا ابن آدم! إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكرونكير لمساءلتك وشديد امتحانك.

ألا وإنّ أول ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما كنت أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أنت أنفقته.

ص: ١١٧

فخذ حذرک، وانظر لنفسک، وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإنّ تكُ مؤمناً عارفاً بدينک، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقاءك الله حجّتک، وأنطق لسانک بالصواب، وأحسنّت الجواب، وبُشِّرْت بالرضوان والجَنّة من الله عزّ وجلّ، واستقبلتک الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك، تلجلج ١٠٩ لسانک، ودحضت ١١٠ حجّتک، وعيبت ١١١ عن الجواب، وبُشِّرْت بالنار، واستقبلتک ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم، إنّ من وراء هذا أعظم وأقطع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله عزّ وجلّ فيه الأولين والآخرين، ذلك يوم يُنفخ في الصور، وتُبْعَث فيه القبور، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، وذلك يوم لا تقال فيه عشرة، ولا يؤخذ من أحد فدية، ولا تُقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلاّ الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات.

فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من شرّ وجده.

١٠٩ (١) أى تردد.

١١٠ (٢) أى بطلت.

١١١ (٣) أى عجزت.

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي، ما قد نهاكم الله عنها، وحذركموها في كتابه الصادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله عز وجل يقول: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ١١٢ (الأعراف: ٢٠١).

ص: ١١٨

وأشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوَّفكم من شديد العقاب. فَإِنَّهُ مَن خَافَ شَيْئًا حَذَرَهُ، وَمَن حَذَرَ شَيْئًا تَرَكَهُ.

و لا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدنيا الذين مكروا السيئات، فإن الله يقول في محكم كتابه: أَمْ مِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ١١٣ [النحل: ٤٥ - ٤٧]

فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب.

والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، فإن السعيد من وعظ بغيره، ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال: وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً [الأنبياء: ١١].

وإنما عني بالقرية أهلها حيث يقول: وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ [الأنبياء: ١١]، فقال عز وجل: فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ [الأنبياء: ١٣ - ١٥].

وأيم الله، إن هذه عظة لكم وتخويف إن اتعظتم وخفتم، ثم رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عز وجل: وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ١١٤ [الأنبياء: ٤٦]

ص: ١١٩

فإن قلتم أيها الناس: إن الله عز وجل إنما عني بهذا أهل الشرك. فكيف ذلك وهو يقول: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء: ٤٧].

إعلموا عباد الله، إن أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين، ولا ينشر لهم الدواوين، وإنما يُحشرون إلى جهنم زُمرًا، وإنما تُنصب الموازين وتُنشر الدواوين لأهل الإسلام.

١١٢ (٤) مسهم: ألم بهم. طائف من الشيطان: قيل هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزع الشيطان ووسوسته.

١١٣ (١) في قلبهم: أى في تصرفهم في البلاد ليلاً ونهاراً. على تخوُّف: أى ويهلكهم بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم.

١١٤ (٢) النفحة: النصب والحظ.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عزّ وجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرتة، وأيم الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وصرف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلا بالله.

فازهدوا فيما زهدكم الله عزّ وجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول وقوله الحق: **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** [يونس: ٢٤].

فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون، ولا تركنوا إلى الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ قال لمحمد (ص): **وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** [هود: ١١٣]، ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتخاذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنّها دار بلعة ومنزل قلعة ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخرجها الذي عمرها أول مرة وابتدأها، وهو ولي ميراثها، فأسأل الله العون لنا ولكم

ص: ١٢٠

على تزود التقوى والزهد فيها، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله ١١٦، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١١٧.

تأملات حول الخطاب:

يقول الإمام عليّ بن الحسين (ع) في مستهلّ خطابه:

(اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً).

هذا الخطاب مقتبس من قوله تعالى: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ** [آل عمران: ٣٠].

والآية الكريمة تشير إلى حقيقة هامة، وهي حضور الأعمال بنفسها يوم القيامة، فإنّ لعمل الإنسان ظاهراً وباطناً، والذي يعرفه الناس من عملهم في الدنيا هو ظاهر العمل، وأمّا باطن أعمالهم فيتعرفون عليه في الآخرة... ولعلّ الآية الكريمة من سورة النساء تشير إلى هذا المعنى:

١١٥ (١) الركون: الميل والرضا بأعمال الظلمة.

١١٦ (١) أي إنّما نحن موجودون بالله تعالى وله، ففي الأوّل إشارة إلى تفويض الأمور كلّها إليه، وفي الثاني إشارة إلى طلب التقرب منه بالإتيان بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات، وبهذا يتمّ النظام في الدارين وعلو المنزلة في النشاطين، شرح اصول الكافي، المازندراني: ١١ / ٤١٥.

١١٧ (٢) روضة الكافي، ضبط وتصحيح الشيخ جعفر شمس الدين، دار التعارف - بيروت: ٦٤ - ٦٧.

والأمالي للصدوق، ص ٤٠٧ - ٤٠٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. وتحف العقول لحسن بن عليّ بن شعبة الحراني: ٥٩، بحار الأنوار: ٦ / ٢٢٣ و ٧٥ / ١٤٣.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا. [النساء: ١٠] ... إن الذين يأكلون أموال اليتامى يرون أنهم

ص: ١٢١

يأكلون الدرهم والدينار والذهب والفضة...، إلا إنهم في الحقيقة يأكلون النار الحارقة ولا يشعرون، فإن باطن هذه الدراهم والدنانير التي يأكلونها النار، غير أنهم لا يشعرون بذلك في الدنيا.

فإذا ماتوا وجدوا أعمالهم بباطنها وحقيقتها قد سبقتهم إلى الحياة الآخرة فتحضر لهم أعمالهم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء...

وعندئذ يتمنى الإنسان أن يكون بينه وبين سيئات أعماله أمداً بعيداً، ولكنها تلتصق به التصاقاً شديداً، لا تفارقه قط، ولا يجد سبيلاً للتخلص منها.

يقول تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. [الزلزلة: ٧ - ٨].

وآية سورة الزلزلة واضحة في أن الإنسان يقدم على عمله، ويرى عمله يوم القيامة.

فينعم الصالحون يومئذ بأعمالهم الصالحة، ويشقى الفاسقون بأعمالهم السيئة.

الغافل غير المغفول عنه:

ثم يحذر الإمام الناس عن الغفلة، ويصفهم بهذا الوصف المثير: (ويحك يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنك)، وهو وصف ينطبق انطباقاً دقيقاً على كثير من الناس. يعيشون في غفلة تامة عن الله، وعن الموت وعن أنفسهم، وكأنه ليس من ورائهم حساب على أعمالهم، ولا ينفذ أجلهم وكل لحظة تمر عليهم يقطع الزمان من عمرهم قطعة لا تعود إليهم أبداً ... ولو علموا أنهم غير مغفول عنهم إذا غفلوا، حافظوا على وعيهم وانتباههم.

ص: ١٢٢

فيحذرهم الإمام من هذه الغفلة القاتلة، ويقول: (يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنه)، وهذا أضعف ما يمكن أن يكون عليه المقاتل في ساحة القتال يغفل عن عدوه، وعدوه يرصده رصداً دقيقاً ولا يغفل عنه.

والإنسان الغافل يعيش في الدنيا بين رصدتين، عدو يرصده وهو الشيطان لينقض عليه، في لحظات الغفلة فيهلكه، وورقيب يرقبه ويرصد أعماله، ليحاسبه على أعماله يوم يلقي الله، ولا تخفى عليه خطرات قلبه وكوامن نفسه، وهو اقرب إليه من حبل الوريد، ومن العجب أن يعيش الإنسان بين هذا الرصد وذلك الرصد غافلاً.

مواقف السؤال:

ثم ينتقل الإمام (ع) إلى مواقف السؤال، وخير ما ينبه الغافلين من غفلاتهم تذكيرهم بمواقف السؤال، وهي أشق المواقف على الإنسان منذ أن يفارق الإنسان الدنيا ... وأول موقف من مواقف السؤال عندما يضعه أهله وأحبته في حفرته ثم يتفرقون عنه، ويتركونه وحيداً.

يقول الإمام (ع): (قد قبض الملك روحك، وصيرك إلى قبرك وحيداً، تردُّ إليك روحك، واقتحم عليك ملكان (ناكر) و (نكير) لمساءلتك وشديد امتحانك).

وما أشد وقع المساءلة على الإنسان، إذا كان لم يعد نفسه من قبل لمثل هذه المسائلة ... ولو أن الإنسان يعي أن من وراء كل عمل من أعماله سؤالاً وحساباً لم يستسلم للغفلة، وحاسب نفسه، قبل أن تحاسبه ملائكة السؤال والحساب. وأول سؤال تسأله ملائكة الحساب عن عقائده (عن ربك الذي كنت تعبد، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه).

ص: ١٢٣

فإن الإيمان بالله ورسوله وملائكته ودينه والولاية لأوليائه الأمر هو الأساس الذي يصدر عنه العمل، والعمل الذي يصدر عن غير أساس، مبتور، لا قرار ولا قيمة له.

ولا بد من أن يبني الإنسان أعماله على أساس محكم من الإيمان، ويبني إيمانه على أساس من الحجة.

والإيمان الذي لا يعتمد على الحجة والدليل لا قيمة له عند المساءلة والحساب، كما أن العمل الذي يصدر من غير الإيمان لا قيمة له ...

ولأمر ما يعقب القرآن العمل الصالح بالإيمان ١١٨ فإن العمل الصالح ثمرة الإيمان، ولا ينفك عنه، ولن يكون الإيمان والعمل الصالح لا يصدر إلا عن الإيمان، وكل عمل يصدر من غير إيمان واعتقاد قائمين على الحجة والدليل، فاقد للقيمة الأساسية في العمل الصالح، فإن العمل الصالح ليس جهداً صالحاً فقط، كيفما كان مصدر هذا الجهد ومبعثه، وإنما تقومه النية الصالحة، وهذا هو الشرط الثاني من مقومات العمل الصالح.

والنية الصالحة، بالنظر الدقيقة الكلية، تعتمد على الإيمان القائم على الحجة والدليل وهذا هو الشرط الثالث من مقومات العمل الصالح.

(١) الصلاح، (٢) النية، (٣) الإيمان:

إذن السؤال يتم على محورين لا يعفى عنهما الإنسان: الإيمان والعمل.

يقول زين العابدين (ع) عن المحور الثاني (وعن عمرك فيما أفنيته، وعن مالك فيما أنفقته).

ص: ١٢٤

الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت:

وهو هول يوم القيامة يوم يحشر الناس كالجراد المنتشر.

فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (القمر: ٦-٨).

وأى يوم رعب هذا اليوم الذى يمتدّ على الناس فى مواقف الحساب خمسين ألف سنة، وأى حساب عسير هذا الحساب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميماً [المعارج: ٤-١٠]!

ويحشر الناس يومئذ، ولا يسأل حميم عن حميم، وينتشرون كالفراش المبثوث، هم كل واحد منهم أن يتخلص من عذاب جهنم، ويعبر الصراط إلى الجنة.

ونقرأ سورة القارعة، فتقف كل شعرة فى جسم الإنسان، إذا قرأها حقّ قراءتها، من هول ذلك اليوم الرهيب.

القَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَارٌ حَامِيَةٌ [سورة القارعة].

ويضرب الناس فى ذلك اليوم الرهيب زلزال عظيم يفقد الناس فيه صوابهم، ويمسسون وكأنهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن هول ذلك اليوم الرهيب يفقدهم الصواب، فيترأى لمن يراهم أنهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن

ص: ١٢٥

عذاب الله شديد يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد [الحج: ١-٢].

ولا يمر على الإنسان هول أعظم من هذا الهول الذى يصيب الناس يوم الزلزال الأكبر، وناهيك فى ذلك أن العظيم تبارك وتعالى يعبر عن زلزال هذا اليوم بأنه (شىء عظيم) ...

فى هذا الزلزال تذهل المرضعة عما أرضعت، وهو أكثر ما يمكن أن يتصوره الإنسان من الهول الذى يصيبه، حتى تذهل المرضعة عما أرضعت ... أعاذنا الله من هول ذلك اليوم بظلال أمنه الذى يرزق عباده الصالحين، ولسنا منهم، ولكننا نرجو أن يعاملنا بفضله ولطفه، وليس بعدله.

ونقرأ آيات سورة المعارج فتمتلئ قلوبنا رهبة وهيبة من ذلك اليوم الرهيب الذى يمتدّ خمسين ألف سنة ... كله حساب ومساءلة، يمتدّ هذا الزمن الطويل، وكله رهبة وخوف، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

وليس ببعيد ذلك اليوم الرهيب ولكن الناس عنه فى غفلة وسبات. يومئذ تكون السماء كالمهل (النحاس المذاب) من شدة الحر الذى تصبه عليهم السماء، أو الزيت الذى يغلى من شدة الحر، والجبال يومئذ كالصوف المنفوش وتكون الجبال كالعهن [المعارج: ٩].

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [القارعة: ٥].

والصوف المنفوش الصوف الذى فقد تماسكه وأصبح هشاً بعد تصلب، ولعل ذلك من أثر الزلزال العظيم الذى تصيب ساحة الحشر فتتهزّ له الجبال هزّات قويّة، فتكون كالعهن المنفوش.

وكلّ إنسان مشغول بشأنه في ذلك اليوم العسير، لا يسأل حميم عن حميم.

ص: ١٢٦

يومئذ يودّ المجرم لو يدفع عذاب ذلك اليوم عنه بأعزّ من يعرف من أهله وأبنائه وزوجته وإخوانه وعشيرته، ومن في الأرض جميعاً وينجو بذلك من عذاب الله ... ولكن هيهات (كلّا).

ثمّ تقرّر آيات المعارج هذه الحقيقة المرّة (أنّها لظي) تتلّظي، وتلتهب على المجرمين وتترزع من شدة الحر جلود رؤوسهم نزاعاً للشّوى.

ولنقرأ هذه الآيات من سورة المعارج، وهي كما قلنا في الآيات التي تلونها من قبل من سورة القارعة إذا أعطاه الإنسان حقّها من القراءة والوعى تقف عند قراءتها كلّ شعرة في جسمه من هول ذلك اليوم: سأل سائلٌ بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرّج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميماً يبصرونهم يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه كلّاً إنّها لظي نزاعاً للشّوى تدعوا من أدبر وتولّى وجمع فأوعى [المعارج: ١ - ١٨].

يقول الإمام على بن الحسين (ع) عن هذا اليوم المهيب، وعن هذا الهول الأعظم:

(واعلم أن من وراء هذا (يعنى مسألة القبر والبرزخ) أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس (...).

ص: ١٢٧

التحذير من المعاصي:

ثمّ يحذّرهم الإمام ذنوبهم وآثارهم وتبعاتها السيئة على دنياهم وآخرتهم ومعاشهم ومعادهم. (فاحذروا) أيها الناس من المعاصي، ما قد نهاكم الله عنه، وحذركموها في كتابه الصادق الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا ... فاشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما خوّفكم من شديد عقابه.

يقول سبحانه: أَمْ مِنْ الَّذِينَ مَكْرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ [النحل: ٤٥].

إن للذنوب آثاراً سيئة في دنيا الناس ومعاشهم وآثاراً أسوأ في معادهم وآخرتهم.

أمّا ما يتعلّق بدنيا الناس فإن للذنوب والسيئات آثاراً تخصّ العاملين بها.

وهناك ذنوب ترتكب من ناحية المجتمع، وتشيع في أوساط الناس، دون أن يقابلها إنكار للمنكر بحجم الذنوب والمعاصي، وبحجم الأمة ... عندئذ العذاب ينزل على الأمة كلّها، وليس على المذنبين والعاصين بالخصوص، وهو قوله: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال: ٢٥].

والعقوبات التى تخصّ هذه الذنوب إبتلاءات ومصائب عامّة وسقوط حضارى، كما يحدثنا القرآن فى الأمم السابقة، وكما عرفنا فى عصرنا ذلك فى سقوط دولة الإلحاد فى الاتحاد السوفيتى السابق.

يقول تعالى: فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ [الأنعام: ٦].

وفى قوم نوح يقول تعالى: مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا [نوح: ٢٥].

ص: ١٢٨

فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [البقرة: ٥٩].

والمعلوم أن الرجز الذى نزل من السماء عمّ الجميع، وأن الجميع لم يكونوا من الظالمين، فعمّهم العذاب، عندما شاعت فيهم الذنوب، وانقطع فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا [النمل: ٥٢].

فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا [الشمس: ١٤].

وأما الذنوب التى لا تعمّ المجتمع، فهى التى يقابلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّها تكون بحجم المعصية وبحجم العاملين بالمعصية، والعذاب فى مثل هذه الذنوب يقع على المذنبين خاصة، كما ذكرنا.

يقول تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى: ٣٠].

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آل عمران: ٢٥].

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٨١].

هذا كله فيما يصيب الناس من عقوبة فى معاشهم ودنياهم على ذنوبهم ...

وأما ما يتعلّق بعقوبات الآخرة فإنّها لا تنزل إلا على العصاة والمذنبين خاصة، وبقدر ذنوبهم ومعاصيهم لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام: ١٦٤].

ذلك أن يوم القيامة يوم الفصل، يفصل فيما بين الناس فلا يتحمّل برىء عقوبة المجرمين.

وهذه العقوبات هى التى تحدثنا عنها فى العنوان السابق (الهول الأكبر) يوم القيامة.

ص: ١٢٩

يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى [المعارج: ١١ - ١٨].

هذه العقوبة تخصّ المجرمين فقط يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وهذه العقوبة تدعو فقط من أدبر وتولى وجمع فأوعى.

السعيد من وعظَ بغيره:

ويحذّرهم الإمام (ع) أن يكونوا عظة للآخرين ... وإنما على المؤمن أن يتّعظ بالآخرين، ولا يكون موعظة لهم (فاحذروهم ما حذركم الله بما فعل الظّلمة في كتابه ... والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، وإن السعيد من وعظ بغيره) إن الله تعالى يعظنا في كتابه بالأشقياء من الناس، الذين أسقطتهم سيئاتهم وظلمهم في الهاوية ...

فعلينا أن نتّعظ بهم، ونحذر أن تقع فيما وقعوا فيه، فإن شقائهم وسقوطهم لنا موعظة ودرس، علينا أن نستفيد منه ... وحذار حذار أن يكون المسلم هو نفسه درساً وموعظة للآخرين ... إذا لم ينتفع هو بسقوط الظالمين والمذنبين وشقاوتهم من قبل. (فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون).

فإن الغفلة عن موارد العظة ممن جاء قبلنا من الناس تأتي بسبب تعطيل العقول ... والعقول من المواهب الإلهية العظيمة، التي يخسرها الإنسان إذا عطّلها كما يخسر الإنسان كلّما رزقه الله تعالى من المواهب، إذا عطّلها.

ص: ١٣٠

الركون إلى الدنيا والركون إلى الظالمين:

ويحذّرنا الإمام في خاتمة هذا الدرس عن ركوبين، هما سبب الكثير من ابتلاءات الإنسان ومصائبه في هذه الدنيا والآخرة، وهو الركون إلى (الدنيا) والركون إلى (الظالمين):

يقول (ع):

ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل شيطان فإنّها دار قلعة ومنزل بلغة، ودار عمل. وهذا هو الركون الأوّل.

والركون الثاني: الركون إلى الظالمين، فإن الله قال: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ [هود: ١١٣].

هذا الركون وذلك الركون يستنزلان غضب الله وعذابه. الركون إلى الدنيا وزخرفها ومتاعها، يطيل أمل الإنسان في الدنيا، وطول الأمل في الدنيا يعادل دائماً نسيان الموت والآخرة ... وهما بمعنى الإعراض عن الله تعالى ونسيانه.

والدنيا، كما يقول الإمام (ع) ليست بدار قرار واستيطان، وإنما هي منزل قلعة، سرعان ما يقلع الإنسان عنه، ومنزل بلغة، يبلغ بها وفيها ما قسم الله لعباده الصالحين في نعيم رضوانه وجناته.

فمن جعلها دار قرار واستيطان، استغرقته، وبقدر ما تستغرقه الدنيا يخسر الآخرة، والإعداد والتحضير لها.

والركون إلى الظالمين، بمعنى نفى الركون إلى الله، فلا يمكن أن يجمع الإنسان بين الركون إلى الله والثقة به والاطمئنان إلى الظالمين.

ولا يمكن أن يستشعر الإنسان الأمن والاطمئنان بجوار الله، وفي نفس الوقت يستشعر الأمن والاطمئنان بجوار أعداء الله.

إن الركون إلى الظالمين يسلب صاحبه الركون إلى الله بالتأكيد.

ص: ١٣١

وما أشقى الإنسان وأعظم بؤسه إذا انتزع من نفسه وقلبه الركون إلى الله العلى الأعلى، واستبدله بالكون إلى الظالمين!

يقول تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ [هود: ١١٣].

خطاب وعظي آخر للإمام زين العابدين (ع):

وفيما يلي نروى خطاباً وعظياً آخر للإمام زين العابدين (ع) برواية الشيخ الكليني في روضة الكافي.

عن أبي حمزة قال: ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين (عليهما السلام) إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب (ع).

قال أبو حمزة: كان الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته.

قال أبو حمزة: وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين (عليهما السلام)، وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه، فعرضت ما فيها عليه، فعرفه، وصححه.

وكان ما فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغى الحاسدين وبطش الجبارين.

أيها المؤمنون لا يفتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد ١١٩، غدا. واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم

ص: ١٣٢

الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا، ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان.

والله إن لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبهاً من تصريف أيامها وتغير انقلابها ومثلاتها ١٢٠. وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل ١٢١. وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غدا، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

إن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن ١٢٢، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السلطان، ووسوسة الشيطان، لتثبط القلوب ١٢٣ عن تنبهاها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلا قليلاً ممن عصم الله.

١١٩ (١) الحطام: ما يكسر من البيس، والهامد: البالي المسود المتغير، واليابس من النبات، والهشيم من النبات: اليابس المتكسر، والبائد: الداهب المنقطع أو الهالك.

١٢٠ (١) المثلاث: العقوبات.

١٢١ (٢) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

١٢٢ (٣) في بعض النسخ (ملمات).

١٢٣ (٤) التثبط: التعويق والشغل عن المراد.

فليس يعرف تصرّم أيّامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنّتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثمّ استعان على ذلك بالزهد، فكرّر الفكر، واتعظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجاوى عن لذّاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشأن الحياة ١٢٤ مع القوم الظالمين.

نظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة البصر ١٢٥، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة.

ص: ١٣٣

فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة، والانهماك ١٢٦ فيها، ما تستدلّون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغى والفساد في الأرض بغير الحقّ.

فاستعينوا بالله، وارجعوا إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن أتبع فاطيع.

فالحذر، الحذر، من قبل الندامة، والحسرة، والقُدوم على الله، والوقوف بين يديه.

وتالله ما صدر قوم قطّ من معصية الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قطّ الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان ١٢٧.

فمن عرف الله خالقه، حتّ خوف على العمل بطاعة الله.

وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه. وقد قال الله: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: ٢٨].

فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله، واغتنموا أيّامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فإن ذلك أقلّ للتبعة، وأدنى من العذر، وأرجأ للنجاة، فقدموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلّها، ولا تقدّموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين يدي الله على طاعته وطاعة أولى الأمر منكم.

واعلموا أنّكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيّد حاكم غدا، وهو موقفكم ومسائلكم، فأعدّوا الجواب، قبل الوقوف، والمسائلة والعرض على ربّ العالمين، يومئذ لا تكلم نفس إلا بأذنه.

ص: ١٣٤

واعلموا أنّ الله لا يُصدق يومئذ كاذباً، ولا يكذب صادقاً، ولا يردّ عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور، له الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل.

١٢٤ (٥) الشّناعة: البغض، وشّناه: أبغضه.

١٢٥ (٦) في بعض النسخ (حديدة النظر).

١٢٦ (١) الانهماك: التّماهى فى الشّىء واللّجاج فيه.

١٢٧ (٢) الألف: الأليف.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَقْبِلُوا فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَطَاعَةِ اللَّهِ ١٢٨ طَاعَةً مِنْ تَوَلَّوْنَهَا فِيهَا، لَعَلَّ نَادِمًا قَدْ نَدِمَ فِيمَا فَرَّطَ بِالْأَمْسِ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَضَيَّعَ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ. وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، وَتَوَبُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَةِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ.

وَيَاكُمْ وَصَحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ، وَمَجَاوِرَةَ الْفَاسِقِينَ، احْذَرُوا فَتَنَتَهُمْ وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ ١٢٩.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَدَانَ بِغَيْرِ دِينِ اللَّهِ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ دُونَ أَمْرِ وَلِيِّ اللَّهِ كَانَ فِي نَارٍ تَلْتَهَبُ، تَأْكُلُ أَبَدَانًا قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهَا شَقَوَاتُهَا.

وَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ، وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ، فَانْتَفِعُوا بِالْعِظَةِ وَتَأَدَّبُوا بِآدَابِ الصَّالِحِينَ (١٣٠).

تَأَمَّلَاتٍ فِي خُطَابِ الْإِمَامِ (ع):

يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فِي هَذَا الْخُطَابِ:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الطَّوَاعِيتُ وَاتَّبَاعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا، الْمُفْتَنُونَ بِهَا، الْمُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى حَطَامَتِهَا الْهَامِدِ.

ص: ١٣٥

وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا، وَازْهَدُوا فِيمَا زَهَّدَكُمُ اللَّهُ فِيهِ مِنْهَا، وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رُكُونَ مِنْ اتِّخَاذِهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزِلَ اسْتِيطَانٍ

. فَتْنَةُ الطَّاغُوتِ:

الْهَوَى وَالطَّاغُوتُ أَعْظَمُ خَطَرَيْنِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ. الْهَوَى مِنْ (دَاخِلِ النَّفْسِ) وَالطَّاغُوتُ فِي سَاحَةِ الْحَيَاةِ (عَلَى الْأَرْضِ).

وَفَتْنَةُ الطَّاغُوتِ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ دَائِرَةِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ إِلَى دَائِرَةِ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ وَطَاعَتِهِ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: ٢٥٧].

وَعِبَادَةُ الطَّاغُوتِ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَقَدْ وَرَدَ التَّعْبِيرُ عَنْ طَاعَةِ (الطَّاغُوتِ) وَ (الشَّيْطَانِ) بِالْعِبَادَةِ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ.

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ [المائدة: ٦٠].

وَعَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [يس: ٦٠ - ٦١].

١٢٨ (١) فِي بَعْضِ النُّسخِ (فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ).

١٢٩ (٢) السَّاحَةُ: النَّاحِيَةُ.

١٣٠ (٣) رَوْضَةُ الْكَافِي: وَهِيَ الْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنَ الْكَافِي: ١٦-١٧ وَبِحَارِ الْأَنْوَارِ: ٧٥/١٥٠ وَتَحْفِ الْعُقُولِ فِي فَصْلِ مَوَاطِظِ وَحُكْمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع): ١٨١-١٨٢ مَنَشُورَاتُ بَصِيرَتِي / ق.م.

وفتنة الطاغوت في تطويع الناس لطاعتها هي بالإرهاب والإغراء والتغريب (التضليل).

فإذا افتتن الطاغوت الناس تحوّل الإنسان إلى أداة طيّعة مطيعة لإرادته، لا يسعه أن يعصيه، بل يفهم الأشياء كما يفهمه الطاغوت، ولا يكون بوسعهم أن يرى الأشياء ويفهمها بغير ما يراه الطاغوت ويفهمه.

ولقد أنكر فرعون على السحرة إذ آمنوا بالله موسى قبل أن يأذن لهم.

ص: ١٣٦

قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [الأعراف: ١٢٣].

إنّ فرعون يتوقّع من الناس أن يتبعوا في إيمانهم وقناعاتهم إذن فرعون، وما لم يأذن لهم بقناعة أو إيمان كان عليهم أن يثبتوا على القناعات الرسميّة التي يرسمها لهم الطاغية ... وهذه خصلة أصيلة في كلّ الطغاة على اختلاف درجاتهم في الطغيان.

فإذا تمكّن الطاغية من تطويع الناس لإرادته وفهمه وذوقه ... فقد تحول الناس عندئذ إلى كتلة بشريّة (إمعة) فاقدة للإرادة والوعي والضمير.

وكيف يتمّ للطاغية استفراغ شخصيّة الإنسان من وعيه وعقله وإرادته وضميره وسائر المواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان؟

الجواب في القرآن:

يقول تعالى عن فرعون: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ [الزخرف: ٥٤].

والمقصود بذلك فرعون.

استخفّهم: أي استفرغ فرعون نفوسهم وعقولهم من الوعي والعقل والإرادة والبصيرة والمواهب التي يرزق الله تعالى الإنسان.

وعندما يفقد الإنسان وعيه وإرادته وضميره وعقله يصبح خفيفاً حسب الموازين الإنسانيّة، فاقداً للوعي والارادة، فيطفو ويتعوّم خفيفاً بين يدي الطاغوت، فيحركه ويوجّهه كما يريد، كما تطفو الخشبة العائمة على سطح الماء، فتأخذها الأمواج يميناً وشمالاً من غير مقاومة (فاستخفّ قومه فأطاعوه).

ويصف الإمام أتباع الطاغوت الذين يعبدونه من دون الله بهذه الأوصاف:

(أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد ...).

ص: ١٣٧

إذن يتّضح لنا من خلال هذه الكلمات كيف يستلب الطاغوت وعي الناس ورشدهم وعقلهم وإرادتهم ومقاومتهم.

إنّ الطاغوت ومن قبله الشيطان يجد في الناس ميلاً إلى الدنيا ورغبة قويّة، وتعلّقاً شديداً بها وضعفاً تجاهها.

فيطمعهم الطاغوت بالدنيا، ويغريهم ويهددهم بها، فيتمكّن منهم، ويمكنونه من أنفسهم وعقولهم وإرادتهم وضمايرهم، فيستلبهم عند ذلك كلّ هذه المواهب الإلهية العظيمة، فيصبحون خفافاً في ميزان القوى.

إذن مصيبة الإنسان الكبرى في فتنة الطاغوت.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ [البقرة: ٢٥٧].

فتنة الدنيا:

وجذور فتنة الطاغوت في فتنة الدنيا، وإذا أردنا مكافحة فتنة الطاغوت فلا بدّ أن نعمل لعلاج فتنة الدنيا في حياة الإنسان، فيقدّم الإمام علاّجين لفتنها.

يقول (ع) كما في الفقرة المتقدمة من كلامه:

واحذروا ما حذرّكم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان.

التقوى والزهد:

والنقطة الأولى في علاج فتنة الطاغوت هي أن يحذر الإنسان مما حذرّه الله تعالى من فتن الدنيا التي حرّمها الله، كالسكر، والفحشاء، والمال الحرام، واللهو الحرام.

ص: ١٣٨

وهذا هو التقوى.

فقد أحلّ الله تعالى للإنسان أن يسعى في مناكب الأرض ويتمتع برزق الله.

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ [الملك: ١٥].

وجعل لهم فيها حدوداً، وحذرهم من أن يتعدّوها.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا [البقرة: ١٨٧].

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: ١].

والتقوى هو الالتزام بحدود الله تعالى.

وهذا هو العامل الأوّل الذي يحفظ الإنسان من فتنة الدنيا (فاحذروا ما حذرّكم الله منها).

والعامل الثاني لمكافحة فتنة الدنيا الزهد وعدم الركون إلى الدنيا.

يقول (ع):

وازهّدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان . إنّ (الزهد) غير (التقوى).

ولا يمكن علاج فتنّة الدنيا بالتقوى فقط من دون الزهد. وسوف يتضح لكم وجه هذه الحقيقة.

إن حقيقة الزهد تحرير النفس من التعلّق بالدنيا، وليس من التمتع والانتفاع بالدنيا، ومصيبة الإنسان في التعلّق بالدنيا، وليس في التمتع بالدنيا، وإن كان الاستغراق في التمتع بطيبات الحياة يؤدّي إلى التعلّق بالدنيا غالباً.

يصف أمير المؤمنين (ع) الزهد، فيقول: الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن:

قال الله سبحانه: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ [الحديد: ٢٣].

ومعنى الآية أن أساس مصيبة الإنسان سقوطه في الحزن (الأسى)، بما فاتته والفرح بما آتاه.

ص: ١٣٩

١٣١

وفي هذا الحزن والفرح يكمن تعلّق الإنسان بالدنيا وحطامها ومتاعها.

والتعلّق بالدنيا وحبّها رأس كلّ خطيئة في حياة الإنسان.

عن أبي عبد الله الصادق (ع):

جعل الشرّ كلّ في بيت، وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كلّ في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا

١٣٢.

وعن عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

حب الدنيا رأس كلّ خطيئة

١٣٣.

وعنه (ع) أيضاً

حبّ الدنيا يعمى ويصم ويبكم ويدلّ الرقاب

١٣١ يوسف غروي، محمد هادي، الإمام زين العابدين، علي بن الحسين «عليه السلام» صفحة من دوره الثقافي و جهاده السياسي، ١ جلد.

١٣٢ (١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٠٢ / ١.

١٣٣ (٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٠٤ / ١.

١٣٤.

وتعبير الإمام (ع) دقيق. إنَّ حبَّ الدنيا يسلب الإنسان وعيه وعقله وبصيرته، فهو (يُعمى ويُصمُّ الإنسان) ويسلب منه القدرة على الخطاب (ويبيكم)، ويذله ويذل رقبته، ويطوّعه لسلطان الطاغوت وإرادته.

وحب الدنيا هو الركون إلى الدنيا الذي يحذرنا منه الإمام عليّ بن الحسين (ع) في كلمته السابقة.

ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتخذها دار قرار ومنزل استيطان

. إن الركون إلى الدنيا، وسكون نفس الإنسان إليها لا يكون إلا عند التعلّق بالدنيا والانشداد إليها، وهو أساس مصائب الإنسان.

وما للإنسان وللتعلّق بالدنيا؟ والدنيا دار قلعة، يقلع الإنسان منها أحبّ أم لم يحب، وليست بدار قرار.

عن رسول الله (ص):

ما أنا والدنيا؟ إنّما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل راكب، مرّ على شجرة لها فيئ فاستظلّ تحتها. فلمّا أن مال الظلّ عنها ارتحل، وذهب وتركها

١٣٥.

ص: ١٤٠

وعن أمير المؤمنين (ع):

واحدركم الدنيا فإنّها دار قلعة وليست بدار نجعة

١٣٦.

ويقول عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ولا تركنوا إلى زهرة الحياة الدنيا، وما فيها ركون ... فإنّها دار قلعة وبلغة ودار عمل

١٣٧.

الركونان للذّان يفسدان الناس:

١٣٤ (٣) المصدر السابق: ١/ ٢٠٥.

١٣٥ (٤) المصدر السابق: ١/ ٢٠٥.

١٣٦ (١) بحار الأنوار: ٧٠/ ١٢٣.

١٣٧ (٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٤٦.

يذكرنا الإمام عليّ بن الحسين (ع) في هذه الكلمة بالركونين اللذين يفسدان الناس:

الركون الأول: الركون إلى الظالمين.

يقول تعالى: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود: ١١٣].

والركون الثاني الذي يفسد الناس: الركون إلى الحياة الدنيا.

يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة: ٣٨].

والرضا بالحياة الدنيا هو الركون إلى الدنيا.

ويقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يونس: ٧-٨].

وهذه الطمأنينة بالدنيا هي الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها، وهو أحد الركونين المحظورين في منهج التربية الإسلامية.

ص: ١٤١

إذن المحظور من الدنيا أمران.

(التعلق بها) و (الركون إليها). والركون هو الاطمئنان.

والسائق من الدنيا هو التعامل معها والتمتع بطيباتها، ولكن بشرط ألا يستغرق هذا التعامل الإنسان، فإن الاستغراق في التعاطي مع الدنيا يؤدي بالإنسان غالباً إلى المحظورين اللذين ذكرناهما وهما التعلق والحبّ أولاً، والاطمئنان والركون ثانياً. وكيف يمكن الركون إلى الدنيا؟ وهي دار قلع، كما قال أمير المؤمنين (ع)، وما أسرع ما يقلع الإنسان عنها شاء أم أبى، ورضى أم سخط.

والاطمئنان والركون الذي يأمرنا الإسلام به في منهج التربية الإسلامية هو الاطمئنان بذكر الله والركون إلى الله ورحمته والرجاء برحمة الله.

يقول تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: ٢٨].

يقول عليّ بن الحسين (ع):

والله إنَّ لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيامها وتغيّر انقلاّبها، ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، وإنَّها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه

. إن الدنيا حلوة، خضراء، لاهية، فاتنة، تفتن أهلها وتلهيهم، وتجذبهم، وتسحر عيونهم، لكن الذين ينظرون إلى الدنيا من خلال تقلباتها ومثالبها (شدائدها، وعذابها، ومعاناتها) وتغريها بأهلها، وتصرم أيامها، وانقضاء لذاتها وشهواتها لا تسحرهم الدنيا ولا تفتنهم ويحذرون من أن تفتنهم وتسحرهم.

إن الدنيا ترفع الوضيع الخامل، وتضع الشريف النابه ... ومن هذه الدنيا يسقط أقوام في نار جهنم، ومن أجل هذه الدنيا يرتكب ناس أفظع الجرائم، ثم ينتهي أمدهم في الدنيا، ويسقطون في درجات الجحيم.

ص: ١٤٢

وكم للدنيا من إقبال وادبار وترفع وتسقيط ... فإذا نظر الإنسان إلى الدنيا من خلال هذه المشاهد لم تفتنه الدنيا، ولم يلهمه الأمل، ولم يطل أمله في الدنيا، ولا تخدعه الدنيا بزورها ولهوها وفتنتها، ويعرف كيف يعيش في الدنيا، دون أن يركن إليها، وكيف يعمر الدنيا من غير أن يستوطنها.

هذه النقطة من أساسيات منهج التربية الإسلامية.

ولأمير المؤمنين (ع) كلمة في هذا المجال دقيقة ومعبرة، ومن رقائق الثقافة الإسلامية، تحدثت عنها في كتاب (الهوى في حديث أهل البيت (عليهم السلام))، أنقل إليكم شطراً منه.

يقول أمير المؤمنين (ع): «كان لى فيما مضى أخ فى الله، وكان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه» ١٣٨، فهناك إذن من الناس من يستصغر الدنيا، ومن الناس من يستعظمها، وهاتان رؤيتان إلى الدنيا.

يقول أمير المؤمنين على (ع) فى وصف الدنيا:

«ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن أفقر فيها حزن» ١٣٩

، وهذا هو الوجه الباطن للحياة الدنيا، والرؤية الواعية النافذة إلى الدنيا.

ثم يقول (ع):

«من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها وافته» ١٤٠،

وهذه سنة من سنن الله تعالى فى علاقة الإنسان بالدنيا، لا تختل، ولا تتغير، فمن يركض وراء الدنيا و (يساعياها) ويجارياها تُنْعِيه، فلا يكاد يحقق طموحه فيها، وكلما يكسب فيها من رزق يطمح فيها إلى أبعد من ذلك، ويسعى إليه، فهو يجارى الدنيا ويركض خلفها، دون أن يصل إلى غايته منها، ومن يتجمل فى طلبها، فإن الدنيا تؤاتيه وتطاوعه، وينال حاجته منها.

ص: ١٤٣

١٣٨ (١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٩.

١٣٩ (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

١٤٠ (٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

ثمّ يقول (ع) وهو موضع الشاهد في هذا النصّ:

«من أبصر بها بصّرتّه، ومن أبصر إليها أعمته» ١٤١.

يقول الشريف الرضىّ في تفسير هذا الكلام: «والمتمأل فيه يجد تحته من المعنى العجيب، والغوص البعيد ما لا يُبلغ غايته، ولا يدرك غوره»، وهذا الذى يذكره الإمام علىّ بن أبى طالب (ع) نحوان من الرؤية: أحدهما (إبصار بالدنيا) وهى نظرة الاعتبار، والثانى (إبصار إلى الدنيا)، وهى نظرة الاغترار والافتتان، ولا بدّ لذلك من إيضاح:

إنّ الدنيا قد تكون مرآة ينظر بها الإنسان، وقد تكون غايّة ينظر إليها الإنسان وهما نحوان من الرؤية.

فإذا كانت الدنيا مرآة ينظر بها الإنسان إلى الحضارات البائدة، وإلى الذين طغوا واستكبروا على وجه الأرض، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ... فإن هذه النظرة تكون نظرة (اعتبار) و (اعتاظ).

وأما عندما تكون الدنيا غايّة ينظر إليها الإنسان وينشد إليها، فإن الدنيا تستهويه، وتفتنه، وتعميه، ويراهها حلوة، خضرة.

والنظرة الاولى مادة للاعتبار، والثانية مادة للافتتان والاغترار، وفي الاولى وعى وبصيرة، وفي الثانية تلبيس وغرور.

ولابن أبى الحديد في شرح هذه الكلمات بيتان في توضيحها، يقول: ونظرت إلى قوله (ع): «من أبصر بها بصّرتّه، ومن أبصر إليها أعمته» فقلت:

يك الضوء لكن دعوة المهلك

دنياك مثل الشمس تدنى الـ

تَعْشُ وإن تُبصر به تدرك

إن أنت أبصرت إلى نورها

ص: ١٤٤

وفي تعميق هذه الرؤية وتأكيدا يقول أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (ع):

«... جعل لكم أسماعاً لتعى ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ... وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم، ... أرهقتهم المنايا دون الآمال، ... لم يمهّدوا فى سلامة الأبدان، ولم يعتبروا فى آنف الأوان، ... فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النواحب؟ وقد غودر فى محلّة الأموات رهيناً وفى ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوامّ جلده ... وعفت العواصف آثاره، ومحا الحدثان معالمه، ... أولستم أبناء القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدّتهم، وتطؤون جادّتهم، فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدّها، سالكة فى غير مضمارها، كأن المعنى سواها! وكأن الرشد فى احرار دنياها!!» ١٤٢

. ويقول أمير المؤمنين (ع) أيضاً فى نفس السياق:

١٤١ (١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٩، ١٠٦: ١ ط، صبحى الصالح.

١٤٢ (١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

«وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود» ١٤٣.

إنَّ الأعمى هو الذى لا يخترق بصره الدنيا، فيقف عندها، ويتعلّق بها، فالدنيا «منتهى بصر الأعمى»، وأمّا البصير فهو الذى يخترق بصره الدنيا، ويرى عاقبتها، ويرى الدار الآخرة، فلا يتوقّف عندها، ويعتبر بها، ويرحل عنها.

ولابن أبى الحديد شارح (نهج البلاغة) شرح جيّد لهذه الفقرة غير ما ذكرنا، يقول: «شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوره الأعمى من الظلمة التى يتخيّلها، وكأنّها محسوسة له، وليست بمحسوسة على الحقيقة، وإنّما هى عدم الضوء، كمن يطّلع

ص: ١٤٥

فى جُبّ ضيّق فيتخيّل ظلاماً فإنّه لم ير شيئاً، ولكن لما عدم الضوء، فلم ينفذ البصر تخيّل أنه يرى الظلمة، فأما من يرى المبصرات فى الضياء، فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقيناً، وهذه حالة الدنيا والآخرة: أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم، ويظنّون أنّهم يبصرون شيئاً وليسوا بمبصرين على الحقيقة، ولا حواسّهم نافذة فى شيء، وأهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فأروا الآخرة ولم يقف إحساسهم على الدنيا خاصّة، فأولئك هم أصحاب البصائر على الحقيقة» ١٤٤، وهذا معنى شريف من معانى الطريقة والحقيقة.

الطريقة الصحيحة للرؤية:

إنَّ للرؤية كَأَيِّ فعل آخر من أفعال الإنسان أساليب ومناهج، منها الصحيح ومنها الخطأ، والقرآن يوضح لنا، فيما يوضح من مناهج السلوك والعمل، المنهج الصحيح للرؤية، يقول تعالى: وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى ١٤٥، و (تمديد النظر) طريقة من النظر والرؤية، وهى أن يمد الإنسان نظره إلى ما رزق الله تعالى الناس من رزق، وفى هذا (المد) معنى (التجاوز) وكأنّما الإنسان يتجاوز بنظره عمّا رزقه الله تعالى من رزق إلى ما رزق الآخرين من عباده من زهرة الحياة الدنيا .. وهذه رؤية مذمومة.

وهذا (التمديد) فى النظر مصدر عذاب الإنسان ومعاناته ... فهو يتمنّى ما لم يرزقه الله، ويسعى نحوه، فإذا رزقه الله تعالى تمنّى غير ذلك مما لم يرزقه الله تعالى، ورزق الآخرين من عباده ... ويستمرّ الإنسان فى ملاحقة الدنيا ومساعدتها كما

ص: ١٤٦

يقول أمير المؤمنين (ع) ١٤٦، والركض وراءها، فيطول عذابه فيها، ولا ينال منها غايته.

إن هذه الطريقة من النظر إلى الدنيا تورث الإنسان الحسرة والتلهّف على ما فى أيدى الناس، على العكس تماماً مما لو نظر الإنسان (بالدنيا) وليس (إليها) واتخذ الدنيا مرآة، ينظر بها إلى افتتان الناس بها، واستغراقهم فيها، وهلاكهم، وسقوطهم

١٤٣ (٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

١٤٤ (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٢٧٦: ٨.

١٤٥ (٢) طه: ١٣١.

١٤٦ (١) يقول أمير المؤمنين (ع): من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها وأتته نهج البلاغة: خطبة ٨٢.

بسببها، فإنه لا يغترّ بالدنيا، ويتجملّ في طلبها، ولا يفتنه ما رزق الله أزواجاً منها فيها من زهرة الحياة الدنيا، ليفتنهم به، فيتعفف عمّا في أيدي الناس ويرتفع عنه.

وغنى عن البيان أن نظرة الاستغناء والتعفف والترفع عمّا في أيدي الناس، وعدم الانشداد به لا يعنى القعود عن السعى والعمل والتحرك في ساحة الحياة، فإن الإنسان المسلم يسعى ويتحرك، ولكن ليس من منطلق التلهّف على ما في أيدي الناس، وإنما ليكسب الرزق من عند الله.

إذن لطريقة النظر إلى الأشياء دور كبير في سلامة النفس وتلوّثها، فقد تلوّث النظر روح الإنسان، وتخلق له عذاباً ومعاناة طويلة

(رُبَّ نظرة تورث حسرة) ١٤٧،

وقد تكون النظرة أساساً ومنطلقاً لاستقامة الإنسان وتقويم سلوكه.

إن الإسلام لا يمنع من النظر، ولكن يعلمنا كيف ننظر إلى الأشياء.

ثم يقول علىّ بن الحسين زين العابدين (ع):

إن الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبه السلطان، لتشطّ القلوب وتذهلها عن الهدى، ومعرفة أهل الحقّ، إلا قليلاً ممن عصم الله.

ص: ١٤٧

الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين (ع):

هذه النقاط التي يذكرها الإمام علىّ بن الحسين (عليهما السلام) مفردات فتنّة واسعة شاملة: مثل شيوع البدع في الدين، وانتشار الظلم والجور، والعدوان، وبوائق (شُرور) الزمان، وهيبه السلطان الكاذبة الجائرة.

هذه مفردات من الفتنّة التي تلمّ بالناس، فتسلبهم بصائرهم ووعيهم، وتطبع على قلوبهم، فلا ينفذ إليها نور ولا هدى.

وقد وقع مثل هذه الفتنّة صدر الإسلام وأخبر عنها رسول الله (ص) أمّته عنها من بعد وفاته.

عن رسول الله (ص):

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ١٤٨.

وعن رسول الله (ص)

١٤٧ (٢) وسائل الشيعة ١٣٨: ١٤، فروع الكافي ٥٥٩: ٥ وميزان الحكمة مجلد ١٠.

١٤٨ (١) مسند أحمد: ٢/ ٢٠٤ دار صادر بيروت.

ويل للعرب من شرٍّ قد اقترَب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسَى كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ١٤٩.

وروى البخارى فى كتاب الفتن من الجامع الصحيح عن رسول الله (ص)

أنا فرطكم على الحوض. ليرفعنَّ إلىَّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دونى (أى أُنزِعُوا مِنّى وأبعدوا عَنّى) فاقول: أى ربِّ أصحابى. فيقول: لا تدرى ما أحدثوا بعدك ١٥٠.

ص: ١٤٨

وعن فتنة بنى أمية يقول أمير المؤمنين (ع):

ألا وإنَّ بليَّتكم قد عادت كهيئتِها يوم بعث الله نبيّه (ص)، والذي بعثه بالحقّ لتبليبن بلبلة، ولتغرِبِلن غربلة، حتى يعود أسفلكم أعلاكُم وأعلاكُم أسفلكم ١٥١.

ويقول (ع) فى نفس السياق عن الفتن الاجتماعيّة والسياسيّة:

والله لتمحّصن، والله لتغرِبِلن، حتى لا يبقى منكم إلا نزر ١٥٢.

وإذا هبَّت رياح الفتنة على قوم أعمتهم وأصمتهم وسلبتهم وعبثهم وبصائرهم.

يقول أمير المؤمنين (ع) عنها:

إنَّ الفتن إذا أقبلت شَبَّهَتْ وإذا أدبرت نَبَّهَتْ يُنْكِرُنَّ مقبلات وُيُعرفُنَّ مدبرات، يحمن حول الرياح، يصبن بلدًا، ويخطئن بلدًا ١٥٣.

إنَّ الفتن إذا أقبلت يسلبن الناس بصائرهم، فيلبس عليهم الحقَّ والباطل، ويشتبهُ الحقَّ بالباطل والباطل بالحق، فلا يميزون بينهما (إذا أقبلت شَبَّهَتْ)، وإذا انحسرت الفتنة عن بلد رجع إلى الناس رشدهم ووعيههم (إذا أدبرت نَبَّهَتْ، ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات).

ويقول (ع) عن فتنة بنى أمية:

إنَّها فتنة عُماء صمَّاء مطبقة مظلمة، عمّت فتنتها، وخصّت بليَّتِها، أصاب البلاء مَنْ أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها، أهل باطلها ظاهرون على أهل حقّها، يملأون الأرض بدعاً وظلماً وجوراً ١٥٤.

١٤٩ (٢) مسند أحمد: ٢/ ٢٠٩ وراجع فى نفس المصدر: ٢/ ٢٩١ و ٢/ ٥٢٣ و ٣/ ٤٥٣ و ٣/ ٤٨٩ و ٤/ ٢٧٢ و ٤/ ٤٠٨ و ٤/ ٤١٦ و ٥/ ٢٩١ و ٦/ ٨١ وغير ذلك من المصادر.

١٥٠ (٣) صحيح البخارى: كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٤٩ وبنفس السياق والمعنى صحيح البخارى: كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٥٠ ونفس المصدر: ح ٤٧٤٠ وح تسلسل ٣٣٤٩ و ٣٤٤٧ و ٤٦٢٥ و ٤٦٢٦ و ٤٥٢٥ وصحيح مسلم: ٨/ ١٥٧ دار الفكر و ١/ ٢١٧ و ٤/ ١٧٩٦ و ٤/ ١٨٠٠ وغيرها من المصادر.

١٥١ (١) بحار الأنوار: ٥/ ٢٧٨ ونهج البلاغة: الخطبة ١٦.

١٥٢ (٢) بحار الأنوار: ٥/ ٢١٦.

١٥٣ (٣) نهج البلاغة: ١/ ١٨٣ من خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلّبه على الخوارج وما يصيب الناس من بنى أمية وهى الخطبة ٩٣.

ص: ١٤٩

وهو كلام عجيب يستوقف الإنسان.

هى فتنه عمياء صماء مطبقة مظلمة، تسلب الناس بصائرهم (عمياء)، وتسلب الناس أسماعهم (صماء)، ومطبقة مظلمة، لا ينفذ إليها النور والهدى، كأنما السماء أطبقت على الأرض.

تعم الفتنه فيها الجميع: أصحاب البصائر، والعُمى الصمّ كلّهم، فيكون الابتلاء والمعاناة والعذاب والقتل والمطاردة فيها من حظ اصحاب الأبصار (أصاب البلاء من أبصر فيها)، وهو ضريبة البصيرة والوعى.

وأما العُمى الصمّ البكم فحظهم فيها العافية فى الدنيا، وإن كانت تُخطأهم أحياناً.

وفى هذه الفتن يظهر أهل الباطل (العمى، الصمّ، البكم) على أهل أصحاب الحقّ (أهل البصائر) ... هذا هو تصوّر العلوى لفتنة بنى أمية.

كيف تتكوّن الفتنه:

إن الفتن تهبُّ كالأعصار تصيب بلداً وتنحرف عن أخرى، وقد قرأنا لأمير المؤمنين (ع) قبل قليل: (إن الفتن كالرياح (يصين بلداً ويخطئن أخرى) ١٥٥، فإذا أصابت بلداً سلبتهم بصائرهم ووعيتهم، وعمتتهم الفتنه جميعاً أصحاب البصائر منهم والعُمى الصمّ البكم ...

ولماذا تصيب بلداً وتخطئ أخرى؟

لأن رياح الفتنه تطلب البلاد التى يعصى الناس فيها الله تعالى.

يقول أمير المؤمنين (ع)

أيها الناس! إنّما بدأ وقوع الفتن أهواء تُتبع، وأحكام تُبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً ١٥٦.

ص: ١٥٠

إن الذنوب والمعاصى والمنكرات إذا انتشرت فى بلد وشاعت وعمتتهم تنزل عليهم الفتنه لا محالة فيفتنون.

وفى هذه الفتن يظهر أهل الباطل على أهل الحقّ، ويكون فيها البلاء خاصاً بأصحاب البصائر، ويتمتع فيها اصحاب الباطل بالعافية فى دنياهم.

وهذه هى الفتنه التى يحدّثنا عنها على بن الحسين (عليهما السلام) بعد مصرع الحسين (ع) فى هذا الخطاب، وهى التى كان يخاف منها أمير المؤمنين (ع)، ويحذّر الناس منها ... يقول (ع):

١٥٤ (٤) كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصارى ص ٢٥٧ وباختلاف يسير نهج البلاغة الموضع المتقدم خط ٩٣.

١٥٥ (١) الغارات للنقوى: ١٠ / ١٠.

١٥٦ (٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٥.

ألا إن أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها ١٥٧ وخصّت بليتها ١٥٨ وأصاب
البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها ١٥٩ وأيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدى، كالناب
الضروس ١٦٠ تعذب بفيها ١٦١ وتخبط بيدها، وترين برجلها ١٦٢ وتمنع درّها ١٦٣ لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا
نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربّه ١٦٤

ص: ١٥١

والصاحب من مستصحبه ١٦٥ ترد عليكم فتنهم شوهاء مخشية ١٦٦ وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى

والإمام زين العابدين (عليهما السلام) يتحدّث عن هذه الفتنة بالذات، فقد عاش كلّ معاناتها ومرارتها وضراوتها.

كيف يسلم الناس من الفتنة:

يقول الإمام زين العابدين (ع) فى كلامه السابق:

فليس يعرف تصرُّم أيّامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد،
ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، وأتّعظ بالصبر، فازدجر، وزهد فى عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب
فى دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشأن الحياة مع القوم الظالمين

وهذه النقاط التى يذكرها الإمام زين العابدين (ع) هى سفن النجاة فى مضلات الفتن التى يفقد فيها الناس بصائرهم
وأسماعهم ووعيمهم.

إنّ الذين يسلمون فى هذه الفتن هم الذين يعصمهم الله من مضلات الفتن، وأولئك هم الذين نهجوا سبيل الرشد، وسلكوا
طريق القصد ... فلم يتخبطوا فى سيرهم وحركتهم، ولم ينحرفوا عن الصراط المستقيم الذى رسمه الله تعالى لهم.

واتقوا الله تعالى فى مضلات الفتن، فإن العبد إذا اتقى الله تعالى عصمه الله فى مضلات الفتن وحفظه من العمى والصمم الذين
يُصيبان سائر الناس.

ص: ١٥٢

١٥٧ (١) خطتها: أى امرها، بمعنى أن أمر هذه الفتنة تعم الجميع، لأن بنى أمية حكموا العالم الإسلامى عامة ألف شهر.

١٥٨ (٢) يعنى البلاء والمعاناة والعذاب والمضايقة والمطاردة فيها خصّت أصحاب البصائر، فهى ضريبة الوعى والبصيرة فى ظروف الفتنة.

١٥٩ (٣) أما من عمى عن الفتنة فإن حظهم فيها العافية، فهم يسكنون عنها ويسلمون فيها.

١٦٠ (٤) الناب: الناقة المسنة، والضروس: السيئة الخلق.

١٦١ (٥) تعذب بفيها: من عذب الفرس: إذا أكل بجفاء أو عضّ.

١٦٢ (٦) وترين برجلها: أى تضرب برجلها.

١٦٣ (٧) وتمنع درّها: أى تمنع لبنها: أى خيرها.

١٦٤ (٨) أى انتصار العبد من مولاة ... وما هو قادر على ذلك، فإنه عبده ولا بد له من طاعته.

١٦٥ (٩) أى التابع من متبوعه، ومتى يستطيع التابع الدليل ان ينتصر على متبوعه وقائده؟

١٦٦ (١٠) شوهاء: قبيحة، ومخشية: مخيفة ومرعبة.

يقول أمير المؤمنين (ع):

اعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ١٦٧.

والتقوى سفينة النجاء، يشق بها الإنسان أمواج الفتن.

يقول أمير المؤمنين (ع):

يا أيها الناس! شقوا أمواج الفتن بسفن النجاء ١٦٨.

وكما ان الفتن تأتي بأهواء تُتَّبَع، وأحكام تُبتدع كذلك في المقابل يسلم الإنسان من أمواج الفتن بالتقوى.

ومن سفن النجاء في الفتن: القرآن

عن رسول الله (ص) أنه قال:

إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ١٦٩.

وهذان هما سبيلا الرشد وطريقا القصد في الفتن (القرآن والتقوى).

ثم يعلمهم زين العابدين (ع) بعد ذلك، أن يستعينوا على الفتن بالزهد، فإن الزهد يحفظ الإنسان من الانغماس في الدنيا والافتتان بها، الذي هو رأس مصائب الإنسان ومن أعظم مصادر الفتن.

ثم يأمرهم بالتفكير والتأمل والتدبر (فكرّر الفكر).

وقد جعل الله تعالى سلامة الإنسان في التفكير والتأمل والتدبر، وإنما رزق الله تعالى الإنسان العقل والفكر وأمكنه من التفكير والتدبير ليعصم نفسه من مضلات الفتن ويحفظ نفسه من السقوط فيها.

ويواصل الإمام عليّ بن الحسين (ع) في هذا السياق مكانه عن معاقل النجاء عندما تهبّ على الناس رياح الفتنة.

ص: ١٥٣

الاعتبار بالتاريخ:

ثم يقول عليّ بن الحسين (عليهما السلام):

١٦٧ (١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

١٦٨ (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢.

١٦٩ (٣) الكافي: ٢ / ٥٩٩.

انظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة، حديدة البصر (النظر)، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة، فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغى والفساد في الأرض بغير الحق

اقرأوا الحاضر من خلال الماضي ... إن الماضي مليئ بالعبر ... فاعتبروا لحاضرهم من الأيام الخالية ... إن أصحاب البصائر يقرأون حاضرهم في الماضي، ومن خلال كتب التاريخ، ويجدون في تاريخ الأمم السابقة وتاريخ هذه الأمة، وما وقع فيه من جور الملوك وطغيانهم، ثم هلاكهم وسقوطهم، دليلاً على حاضرهم.

وفي القرآن تأكيد بليغ على رؤية الحاضر والمستقبل من خلال الماضي، وإن قراءة الماضي ليس للتسلية، ولا للتكاثر والتفاخر، وإنما للاعتبار.

يقول تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ [يوسف: ١١١].

نقاط ثلاث في كلام الإمام (ع):

وفي كلام الإمام (ع) نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: أن ننظر إلى الدنيا بعين ثاقبة، نافذة البصيرة، لا يحجبها سطح الأحداث عن النفوذ إلى أعماقها والوصول إلى دلائلها ... فإن في أنظار الناس أنظراً بليدة تقف عند سطح الحوادث، ولا تنفذ إلى أعماقها ودلائلها، وتنهر ببريق الفتن والإعلام.

ص: ١٥٤

ومن الأنظار أنظار ثاقبة نافذة لا تنهر ببريق السلطان والمال والموقع، وتنفذ إلى الأسباب والنتائج (البدايات والعواقب).

وهذه النظرة الثاقبة النافذة المستعلية على فتن الدنيا هي التي يعلمنا القرآن إياه تجاه التاريخ.

يقول تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ [طه: ١٣١].

يقول الإمام علي بن الحسين (ع) في هذا المعنى

فانظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة البصر

وفي النقطة الثانية: يعلمنا الإمام أن ننظر إلى التاريخ بهذه النظرة الثاقبة النافذة.

(وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة).

واحدروا أن يحجبكم الحاضر عن الماضي، فلرب حدث وفتنة في الحاضر لا تستطيع أن تقرأها وتفهمها وتعالجها وتفهمها، إلا من خلال الماضي ... إن قراءة الماضي قراءة واعية جزء من مكونات الثقافة الإسلامية.

وليس بوسع الإنسان أن يكسب وعى سنن الله فى المجتمع إلا من خلال التاريخ ... ومن يقرأ التاريخ وينظر فيه بنظرة ثاقبة واعية، فكأنما عاش التاريخ كله وتزوّد بتجاربه وخبراته.

وهذه المعاشية الواعية للتاريخ، والنظرة الواعية إلى حوادث التاريخ يأمر بها القرآن الكريم.

يقول تعالى: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ [آل عمران: ١٣٧].

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [النمل: ٦٩].

ص: ١٥٥

ويقول أمير المؤمنين (ع) فى وصية لابنه الحسن (ع) أنّه قد سبر التاريخ، ونظر فى أعمال الناس من قبله، حتى كأنه عاش معهم واكتسب فى هذه المعاشية والنظرة الواعية تجربة القرون الخالية.

يقول (ع):

أى بُنى! إننى وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم، وفكرت فى أخبارهم، وسرت فى آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأتى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوحييت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ١٧٠.

وعن هذه النظرة الواعية إلى التاريخ يقول الإمام على بن الحسين (ع): (أبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك والظلمة).

والنقطة الثالثة: أن يتخذ الإنسان عبر الماضى دروساً للحاضر، ويرسم حاضره وتعامله مع الدنيا وفتنها من خلال عبر الماضى.

إن عبر الماضى، إذا وعها الإنسان يمكن أن تتحوّل إلى ثقافة يتعاطاها الإنسان فى التعامل مع الحياة الدنيا وفتنها.

ولنستمع إلى زين العابدين (ع) حيث يقول:

فلقد لعمرى استدبرتم من الأمور الماضى فى الأيام الخالية من الفتن المتراكمة، والانهماك فيها، ما تستدلّون به على تجنّب الغواية وأهل البدع والبغى والفساد فى الأرض بغير الحقّ

ص: ١٥٧

المكاشفة والخطاب الذاتى فى تراث الإمام زين العابدين (ع)

فى تراث الإمام زين العابدين (ع) الوعظى نلتقى لوناً جديداً من خطاب النفس، والمكاشفة الذاتية، نسميه ب- (الخطاب الذاتى) أعنى خطاب الإنسان لنفسه، مقابل خطابه لغيره.

وللإنسان خطابان: خطاب يخاطب به الغير وخطاب يخاطب به نفسه، وهذا نوع جديد من أدب الخطاب والموعظة نجده على الأقلّ فى ثلاث نماذج من كلامه (ع).

وهو خطاب جديد على أدب الخطاب والموعظة.

وخطاب الإنسان لنفسه أو (الخطاب الذاتى) شكل من أشكال العلاقة بالنفس، أو (العلاقة الذاتية)، مقابل العلاقة بالله تعالى، والعلاقة بالآخرين، والعلاقة بالأشياء والأفكار، وهى بعد العلاقة بالله تعالى أهمّ العلاقات وأخطرها فى حياة الإنسان.

والقرآن فيما نعلم أوّل كتاب فتح على العقل الإنسانى هذا الباب الواسع من الثقافة النفسية، ولا أعرف قبل القرآن ثقافة تناولت هذه العلاقة بشكل واضح ومنظم ومنهجى.

وقد تحدّثت عن هذه العلاقة من خلال القرآن الكريم فى كتاب (فى رحاب القرآن الجزء الرابع، ص ١٩١) تحت عنوان (العلاقة الذاتية)، قلت فيه:

ص: ١٥٨

العلاقة الذاتية فى القرآن:

(والعلاقة بالنفس هى واحدة من هذه العلاقات الأربع، وهى أهمّها بعد العلاقة بالله تعالى، وأكثرها تعقيداً، وظرافة، ورقّة، وهى كذلك قد تتصف بالإيجاب، وقد تتصف بالسلب.

فقد يجهل الإنسان نفسه، وقيمته فيكون كما قال الله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: ٧٢].

يعنى جاهلاً بنفسه وقيمتها ظالماً لها.

وقد يكون الإنسان من الذين أراهم الله تعالى أنفسهم، وفقههم بقيمتها، وعرفهم بآياته فيها. يقول تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٣].

فيرى الإنسان قيمة نفسه ويحترمها.

وقد يحتقر الإنسان نفسه، وما آتاه الله تعالى فى نفسه من المواهب.

وقد يفرّ الإنسان من نفسه، ويتهرّب منها إلى ألوان من اللهو الذى يشغله عن نفسه، أو إلى المخدرات والانتحار.

وقد يعرف الإنسان كيف يواجه نفسه على أرض الواقع بجديّة وواقعيّة.

وقد يكون الإنسان منسجماً مع نفسه.

وقد يكون فى علاقته بنفسه قلقاً مرتبكاً.

وقد يكون محباً لنفسه.

وقد يكون عدوًّا لها.

وقد يكون ذاكرًا لنفسه، وقد يكون ناسياً لها.

ص: ١٥٩

وقد يكون قابضاً على نفسه متمكناً منها.

وقد تغلبه نفسه وتتمكن منه.

وقد ينطوى على نفسه.

وقد تكون نفسه منفتحة.

وقد يهلكها وقد يحييها. يقول تعالى: وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ [الأنعام: ٢٦].

وقد يصدق مع نفسه، وقد يغرّها ويميّنها، ويخادعها، ويغشّها، يقول تعالى: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ٢٤].

وقد يعترف لنفسه بالخطأ وينقد نفسه، وقد يغالطها ويبرّر أخطاءها وأهواءها.

وقد يطلق لنفسه العنان فى شهواتها، وقد يمسكها بقوة عند حدود الله. ويضبط تصرفاتها.

وقد يترك نفسه لهواها فيما تطلب من الراحة والاستغراق فى الأهواء والشهوات، وقد يتعبها ويجهدّها فى ابتغاء كمالها ونموّها.

وقد يسمو بنفسه، وقد يسف بها.

وقد يكون غريباً عن نفسه، وقد يأنس بنفسه، ويحلّو له أن يخلو بها فى التأمل.

وقد تكون علاقته بنفسه علاقة صِدَامِيَّة، وقد يكون منسجماً مع نفسه متآلفاً معها إلى أمثال ذلك من ألوان العلاقة السلبية والإيجابية فى علاقة الإنسان بنفسه.

والعلاقة بالنفس رقيقة تخفى على الإنسان غالباً، فلذلك لا يشعر الإنسان بفداحة الخسارة التى يتحملها عند ما تكون هذه العلاقة سلبية.

فقد يخسر الإنسان فى تجارته مالاً قليلاً أو كثيراً فيشعر بها، ويشعر بفداحة هذه الخسارة، ويحاول أن يستعيد المال الذى خسره، ويعوّضه، ولكن قد يخسر

ص: ١٦٠

الإنسان نفسه، وهى من أعظم أنواع الخسران فلا يحسّ بتلك الخسارة، ويتحوّل من خسارة إلى خسارة أخرى، حتى يخسر نفسه كلّها ... فلا يعبأ بها.

يقول تعالى: وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ١-٢].

ويقول تعالى: الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام: ٢٠].

وقد يظلم الإنسان غيره فيحسّ بذلك وتؤنّب نفسه، ويحاول أن يجبر ظلمه للآخرين بالعدل والإحسان إليهم، ولكن قد يظلم نفسه، ويعتدى عليها فلا يشعر بهذا الظلم.

يقول تعالى: وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

وقد يهلك الإنسان نفساً زكيةً فيشعر بعظم الإثم، ولكن قد يهلك الإنسان نفسه فلا يشعر بمثل هذا الإثم.

ويقول تعالى: وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ [الأنعام: ٢٦]، والضرر الذى يلحق الإنسان إذا كانت علاقته بنفسه سلبية لا يشبهه ضرر آخر إلا الضرر الذى يلحق به إذا كانت علاقته بالله تعالى سلبية.

وعلاقة الإنسان بنفسه تدرس اليوم ضمن الدراسات النفسية والتحليل النفسى باهتمام، ولكن فى إطار محدود، ولن نجد قبل القرآن اهتماماً أو انتباهاً إلى هذه العلاقة وأهميتها، وقيمتها فى حياة الإنسان، والى وقت قريب جداً لم تكن الدراسات النفسية والإنسانية قد فتحت ملفّ هذه العلاقة بعد، والقرآن بحقّ الفاتح الأوّل لهذا الأفق الواسع من العلاقات الإنسانية (١٧١).

ص: ١٦١

السجال الذاتى والشروء عن الذات:

فى مقابل الخطاب الذاتى، والتفاهم والانسجام مع الذات هناك حالتان متعبتان للإنسان:

حالة السجال الذاتى، وهى حالة الإنسان عندما يدخل فى خلاف وشجار لذاته، ولا يتمكّن من أن يدخل فى مصالحة ووئام مع نفسه، وهى حالة يشقى بها كثير من الناس، وتتعب صاحبها وتسلبه الراحة النفسية التى هى من أعظم نعم الله على الإنسان.

وقد يملك الفقير العديم هذه الموهبة الإلهية (الراحة النفسية) ولا يملكها ذو السلطان والمال والقوة ... وليس المال والسلطان والقوة هى التى تسلب الإنسان الراحة والسعادة النفسية، ولكن منهج توظيف المال والقوة والسلطان هو الذى يسلب الإنسان راحته النفسية وسعادته (١٧٢).

والحالة الأخرى التى ترهق الإنسان هى: الشروء النفسى، وهو المرض النفسى الشائع فى عصرنا يؤدّى بالإنسان إلى الشروء عن نفسه وتغييبه عنها.

١٧١ (١) فى رحاب القرآن: ١٩٤-١٩٦، ط سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

١٧٢ (١) وليس معنى الانسجام الذاتى والوئام مع النفس ألا يحاسب الإنسان نفسه ولا يعاتبها. فإن حالة الحساب والعتاب للنفس، أمارّة الصحة النفسية والعافية، والحالة المتعبة هى حالة السجال والشجار داخل النفس، وهى تختلف عن حالة الحساب والعتاب.

وهو من نتائج الحضارة المادية المعاصرة التي تحجب الإنسان عن نفسه، وتغييبه عنها.

الغربة عن الذات:

وهو شرّ أنواع (الغربة) ... فمن الغربة أن يغترّب الإنسان عن أهله وزملائه وأصدقائه ومجتمعه فيعيش بين الناس، وكأنّه غريب لا يعرف أحداً ولا يعرفه

ص: ١٦٢

أحد، ولا يأنس بأحدٍ ولا يستأنس به أحد، كما لو كان الإنسان مسافراً، بعيداً عن أهله ومجتمعه وأصدقائه في بلد غريب، يعيش في الفنادق وليس في بيته ...

ولكن، شرّ أنواع الغربة هو أن يعيش الإنسان غريباً عن أقرب النفوس إليه، وهو نفسه التي بين جنبيه، ويحجبه عنها حجاب غليظ.

وهي كذلك من نتائج الحضارة المادية المعاصرة، فهي تطمر فطرة الإنسان وضميره وعواطفه، بل وعقله أحياناً، وتوجه الإنسان إلى أن يتنكّر لها ... ثمّ يتحوّل هذا التنكّر إلى حجاب بينه وبين نفسه.

وهو نوع من العقوبة الإلهية للحضارات المادية التي تتنكّر للمواهب الروحية والنفسيّة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، فيعاقبهم الله بذلك وينسيهم أنفسهم ...

وتأتى هذه العقوبة الإلهية للإنسان من سنخ الجريمة.

يقول تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ [الحشر: ١٩].

والعقوبة هنا من سنخ الجريمة وهذه هي حالة الشرود عن الذات.

ولقد كان الحسين (ع) يقول للناس الذين وقفوا يوم عاشوراء لقتاله:

ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها

ولابدّ للناس الذين تقتطع منهم الحضارة المادية أنفسهم وضمائرهم وفطرتهم وقلوبهم من ملجأ يلوذون به لينسيهم أنفسهم، وقد وفّرت الحضارة المادية المعاصرة للإنسان المعاصر الذي يعيش هذه الحضارة، هذا الملجأ الذي يشرد إليه الناس من أنفسهم في المخدرات والسكر والطرب واللهو للفرار عن أنفسهم، وإنّما يسمّيها الإسلام لهواً لأنّها تلهي الإنسان وتشغله عن نفسه.

ص: ١٦٣

الدعوة إلى العودة إلى النفس:

وفي ثقافة الإسلام دعوة مؤكّدة ومكرّرة إلى العودة إلى الذات، وإزالة حجب الغربة بين الإنسان ونفسه، وتمكين الإنسان من معرفة نفسه ومكاشفتها ومحاسبتها.

ويحضّ القرآن الناس على أن يبصروا أنفسهم ويتدبّروها، ويبصروا فيها آيات الله العظيمة. يقول تعالى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت: ٥٣].

ويقول تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].

معرفة النفس:

ومعرفة النفس جُلُّ المعرفة أو كلُّ المعرفة.

فمن يعرف نفسه كفاه ذلك عن كلِّ معرفة، ومن جهل نفسه لم تسعفه معرفة.

عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

كفى بالمرء معرفةً أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه

وعنه (ع) أيضاً في نفس السياق:

من عرف نفسه كان لغيره أعرف، ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل

وفي نفس السياق عنه (ع):

من عرف نفسه فقد انتهى إلى غايّة كلِّ معرفة وعلم

ص: ١٦٤

وليس في حياة الإنسان خسارة أعظم من أن يخسر نفسه ويضيعها، وتضيع عنه، فلا يطالها، وليس في حياة الإنسان جهالة أعظم من أن يجهل الإنسان نفسه.

عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

عجبت لمن ينشد ضالّته، وقد أضلَّ نفسه فلا يطلبها

أقصر السبل إلى معرفة الله:

ومعرفة النفس أقصر السبل إلى معرفة الله فمن فقد هذا السبيل يطول طريقه إلى معرفة الله.

عن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال:

عجبت لمن يجهل نفسه، كيف يعرف ربّه

وعنه (ع) أيضاً:

من عرف نفسه فقد عرف ربّه

وعنه (ع):

من عرف نفسه، فقد إنتهى إلى غايّة كل معرفة وعلم

وكما أن معرفة النفس هي السبيل المفضل للإنسان إلى معرفة الله، كذلك هي السبيل إلى إصلاح نفسه وتهذيبها وتجريدها عما يفسدها ويعطلها.

عن أمير المؤمنين (ع):

من عرف نفسه تجرّد

أى تجرّد عن التعلّق بالدنيا وقتنها.

وعنه (ع) أيضاً:

من عرف نفسه جاهدّها، ومن جهل نفسه أهملها

ومن عرف نفسه جَلَّ أمره،

أى تسامى وترفع.

ومن لم يعرف نفسه بُعدَ عن سبيل النجاء وخطب في الضلالات والجهالات

وعنه (ع):

نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس

وعنه (ع) أيضاً:

العارف من عرف نفسه

وعنه (ع):

أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه

ص: ١٦٥

وهذه الكلمة مقتبسة من قوله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر: ٢٨).

محاسبة النفس:

والذى يرزقه الله الانفتاح على نفسه لا بدّ له من محاسبة نفسه.

عن رسول الله (ص):

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنها قبل أن توزنوا ١٧٣.

ولا بدّ للإنسان أن يُفَرِّغ من يومه وقتاً يتفرَّغ فيه لمحاسبة نفسه، ولو كان الوقت يسيراً.

عن أمير المؤمنين (ع):

ما أحقّ بالإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها

وكان فيما وعظ الله به نبيّه عيسى بن مريم (عليهما السلام) يا عيسى! لا تأمن إذا مكرت مكرى، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكرى. يا عيسى! حاسب نفسك بالرجوع إلىّ حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون ١٧٤.

وفى وصيّة رسول الله (ص) لأبى ذر:

يا أبا ذر! حاسب نفسك قبل أن تحاسب، فإنّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر، يوم تعرض، لا تخفى على الله خافية ١٧٥.

وعن أمير المؤمنين (ع):

ص: ١٦٦

جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإنّ أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه ١٧٦.

وبالمحاسبة يتمكّن الإنسان من إصلاح نفسه.

عن أمير المؤمنين (ع):

ثمرة المحاسبة اصلاح النفس ١٧٧.

خطاب المكاشفة الذاتية:

هذا الخطاب انفتاح على الذات، على طريقة المكاشفة، فإنّ الإنسان يدفع الخواطر والذكريات التي تؤذيه وتنغصه إلى غيابات اللاشعور، ويغيبها عن منطقة الشعور حتى لا تسلبه راحته النفسية، فيكون مثل الإنسان في مثل هذه الحالة مثل طائر (القبج) يدسّ رأسه في الثلج حتى لا يرى الصياد. فيأتى إليه الصياد ويقبض عليه.

١٧٣ (١) هذه الكلمة مروية عن رسول الله (ص) وعن بعض أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

راجع المصادر التالية: مصباح الشريعة: ٣٥، أعلام الدين في صفات المؤمنين مجموعة ورام: ١ / ٣٠٧، بحار الأنوار: ٤ / ٣١٠ و ٦٧ / ٧٣ و ٦٨ / ٢٦٥.

١٧٤ (٢) الكافي: ٨ / ١٣٧ ح ١٠٣.

١٧٥ (٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣٤.

١٧٦ (١) مستدرک الوسائل: ١٢ / ١٥٤ - ١٥٥.

١٧٧ (٢) الكلمات القصار التي روينها عن أمير المؤمنين (ع) يروى الشطر الأكبر منها الآمدى في غرر الحكم والسيد الرضى في نهج البلاغة قسم الحكم.

والمكاشفة الذاتية بعكس ذلك تماماً: يحضر للانسان هذه الخواطر والذكريات ليعالجها. وهذه العملية وإن كانت مرهقة للإنسان من الناحية النفسية، لكن هذا الإرهاق خير للإنسان من الراحة النفسية الكاذبة التي لا تتغصها هذه الخواطر عندما يغيبها الإنسان في ظلمات اللاشعور.

لم يكن هذا الخطاب معروفاً في الأدبيات الوعظية، وهو نوع من أنواع (النجوى) مع النفس، طرفاها نفس الإنسان، يوبخها ويعظها ويحذرُها ويعاتبها وينذرُها.

ص: ١٦٧

وهذه المكاشفة لا تجرى بين طرفين مختلفين، كما نفهم نحن من هذه الكلمة، وإنما تجرى داخل النفس بين الإنسان ونفسه، عندما يخلو الإنسان بنفسه.

الخلوات النافعة

وهذه الخلوة (بالنفس) من الخلوات النافعة للإنسان، والإنسان بحاجة في حياته إلى خلوتين.

خلوة بالله تعالى، وخلوة بنفسه.

وفي هاتين الخلوتين يكشف الإنسان ربّه سبحانه وتعالى ويكشف نفسه بما لا يستطيع أن يكشف به أحداً من الناس، ويتكتم به عن كل الناس.

والإنسان بحاجة إلى هاتين المكاشفتين، فإن التكتّم على ما يجرى داخل النفس يؤدّي إلى اختفاء ما يجرى فيها مما يتكتم بها داخل نفسه إلى دهاليز النفس العميقة، مما يؤدّي إلى تعقيدات وأمراض نفسية كثيرة داخل النفس ...

فقد يرتكب الإنسان ذنباً وجريمة يؤنبهما عليه ضميره، ولا يتمكن أن يكشف بذلك أحداً، وقد يحتاج إلى شيء لا يستطيع أن يفتح أحداً به.

فتختفي هذه الحاجات والمنغصات النفسية في دهاليز النفس العميقة المظلمة، وتحوّل في النفس إلى تعقيدات وأمراض نفسية.

ولكن الإنسان لا يتكتم بشيء مما يدور في نفسه من ذنوبه وآثامه وحاجاته وطلباته التي يتكتم بها على الناس ... لا يتكتم بها على الله فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [طه: ٧]، فلا يخفي على الله تعالى شيء مما يدور في نفسه ويختبئ في أعماق نفسه البعيدة.

ولعلّ ذلك هو المقصود من كلمة (وأخفى) في هذه الآية الكريمة.

ص: ١٦٨

فإن (السِّرَّ) ما يخفيه الإنسان عن الآخرين، و (الأخفى) من السِّرِّ هو ما يدفعه الإنسان إلى الطبقات العميقة المعتمة من نفسه ويزويها ويدفعها عن منطقة الشعور إلى دهاليز اللاشعور، لئلا ينغص بها، فهو إذن أخفى من (السِّرِّ).

إذن بوسع الإنسان أن يكشف الله تعالى بما يتكتم به عن الآخرين من ذنوبه وقبيح أعماله التي يكتتمها عن الناس.

كما أن العبد لا يجد ضيراً أن يكشف ربه في حاجاته التي يخلج أن يكشف بها الناس.

رؤى عن رسول الله (ص):

اسألوا الله عز وجل ما بداخلكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم ييسر ١٧٨.

وعنه (ص):

ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله شسع نعله، إذا إنقطع ١٧٩.

وعن الإمام الباقر (ع) أنه قال:

لا تحقرُوا صغيراً من حوائجكم، فإن أحب المؤمنين إلى الله تعالى أسألهم ١٨٠.

كما فتح الله تعالى لعبده باب التوبة عن ذنوبه وسيئاته التي تنقل ضميره، ويخلج أن يفتح بها أحداً من الناس، فقد أذن الله تعالى للإنسان أن يفتح بها الله عز وجل ويستغفر عنها، فيغفرها له.

إذن فقد فتح الله تعالى على عبده بابين من الرحمة يستطيع العبد من خلالهما أن يكشف ربه عز شأنه مكاشفة كاملة، ولا يخفى عليه شيئاً مما يتكتم به عن الناس، وهذان البابان هما: باب (التوبة) وباب (الدعاء). وهذه هي الخلوة النافعة الأولى في حياة الإنسان.

ص: ١٦٩

ويبقى نجوى الإنسان مع نفسه، وهو الخلوة والمكاشفة الثانية في حياة الإنسان، وهو أمر يدعو إليه الإسلام ويرغب فيه.

ولا بد للإنسان من هاتين الخلوتين، ومن هاتين المكاشفتين، ولا بد له من أن يفرغ من وقته وعمره كل يوم وقتاً للخلوة بالله تعالى ومخاطبته، ومناجاته ووقتاً للخلوة بنفسه ومكاشفتها.

أبواب التعامل مع الذات:

أبواب التعامل مع النفس، في الثقافة الإسلامية، كثيرة، نذكر أهمها.

١- تهذيب النفس وإصلاحها:

عن أمير المؤمنين (ع):

أيها الناس! تولوا من أنفسكم تأديبها واعدلوا بها عن مزاوله عاداتها ١٨١.

١٧٨ (١) مستدرک وسائل الشیعة: ١٧٢ / ٥ ح ٥٥٩٥.

١٧٩ (٢) مستدرک الوسائل: ١٧٢ / ٥ ح ٥٥٩٥.

١٨٠ (٣) المصدر نفسه: ح ٥٥٩٧.

١٨١ (١) نهج البلاغة: الحکمة ٣٥٩.

وعنه (ع):

من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ١٨٢.

وعنه (ع):

الرجل حيث اختار لنفسه، إن صانها ارتفعت، وإن ابتذلها اتضعت ١٨٣.

وعنه (ع):

إشتغالكم بمعائب نفسكم يكفيكم العار ١٨٤.

٢- كفّ النفس عن أهوائها وشهواتها وضبطها وردعا ... وهو (التقوى):

عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عما تهوى دواها ١٨٥.

ص: ١٧٠

٣- التعامل مع النفس بسلام:

هذا باب يفتح القرآن على مصراعيه، ولأول مرة، في تاريخ الثقافة النفسيّة يكشف القرآن عن حقيقة تخفى على الكثير، وهو أن الناس يظلمون أنفسهم. يقول تعالى:

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ [فاطر: ٣٢].

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران: ١١٧].

ويقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [يونس: ٢٣].

ويقول تعالى: وَإِنْ يُهْلِكُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ [الأنعام: ٢٦].

ويدعو الإسلام الإنسان إلى أن يعيش مع نفسه بسلام، فيستجيب لفطرته وعقله وضميره وعاطفته وروحه، كما يدعو إلى الاستجابة المنضبطة لحاجات جسده وغرائزه وميوله وشهواته في توازن وتعادل، فيعيش مع نفسه في أمن وسلام.

وأساس كل سلام في حياة الإنسان أن يعيش الإنسان في سلام مع الله ومع نفسه. وقد أمّنها الله تعالى لعباده في دينه.

ولنا في خاتمة الصلاة تحيات ثلاث.

١٨٢ (٢) نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

١٨٣ (٣) غرر الحكم للآمدي: ١٩٠٦٠.

١٨٤ (٤) غرر الحكم للآمدي: ١٤٨٣.

١٨٥ (٥) الكافي: ٢/ ٣٣٦ ح ٤.

سلام على رسول الله (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)

وسلام على أنفسنا (السلام علينا).

وسلام على عباد الله الصالحين (وعلى عباد الله الصالحين)

وكذا سلام الله على المسيح عيسى بن مريم يسلم على نفسه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حياً.

وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا [مريم: ٣٣].

والآن نستعرض هذا الخطاب الوعظي الذاتي، في كلمات الإمام علي بن الحسين (ع) على طريقة مخاطبة النفس ومكاشفتها والافتتاح عليها وندبتها.

ص: ١٧١

والإنسان عادةً يندب غيره، وها هنا يعلمنا علي بن الحسين (عليهما السلام) كيف نندب أنفسنا، وأن أحق من يندبه الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

وهذا الخطاب ندبة للنفس، من باب المكاشفة، نرويهها برواية ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية: ٩ / ١٣٩)، وابن عساکر في (تاريخ دمشق: ٤١ / ٤٠٤).

كما يرويه المحدث النوري (رحمه الله) في (الصحيفة الرابعة).

ويرويه (إحقاق الحق) بتحقيق السيد المرعشي: ١٩ / ٤٨٤ و ٢٨ / ١٢٧ و ٣٣ / ٧٨١.

و (الأنوار البهيّة) للشّيخ عبّاس القمّي: ١١٩.

و (الصحيفة السجّاديّة الكاملة) للأبطحي: ص ٥٠١

و (بلاغة الإمام علي بن الحسين): ص ٧٧

نصّ النديّة:

وإليك: نصّ النديّة:

عن الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين (ع) يحاسب نفسه، ويناجي ربّه، وهو يقول:

(يا نفس حتّام (١) * ١٨٦ إلى الحياة سكونك، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك! ومن وارته الأرض من الأفك (٢) ومن فجعت به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك؟!

١٨٦ (١) * يأتي توضيح المفردات الغريبة حسب الأرقام المدرجة في النص بعد نهاية النص.

فهم فى بطون الأرض بعد ظهورها
خلت دورهم منهم وأقوت (٣) عراصهم

محاسنهم فيها بوال دوائر

ص: ١٧٢

وساقتهم نحو المنايا المقادر
وضمّتهم تحت التراب الحفائر

وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها

كم خرمت (٤) أيد المنون، من قرون بعد قرون، وكم غيّرت الأرض ببلائها، وغيبت فى ترابها، ممن عاشت من صنوف
الناس، وشيعتهم إلى الأرماس (٥):

وأنت على الدنيا مكبّ منافس

لخطابها فيها حريص مكاثر

على خطر تمسى وتصبح لاهيا

أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر

وإن امرءاً يسعى لدنياه جاهداً

ويذهل عن اخراه لاشك خاسر

فحتّام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك، وقد وخطك القتيير (٦)، ووافاك النذير، وأنت عمّا يراد بك ساه (٧)، وبلدّة
يومك لاه (٨).

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلوى

عن اللهو واللذات للمرء زاجر

أبعد اقتراب الأربعين تربص

وشيب القذال (٩) منذ ذلك ذاعر؟!

كانك معنى (١٠) بما هو ضائر

لنفسك عمداً أو من الرشد حائر

ص: ١٧٣

انظر إلى الأمم الماضيّة والقرون الفانية، والملوك العاتية، كيف انتسفتهم الأيام، فأفناهم الحمام (١١)، فامتحت من الدنيا
آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم!

وأضحوا رميماً في التراب وأقفرت
مجالس منهم عطّلت ومقاصر
وحلُّوا بدار لا تراور بينهم
وأنتى لسكان القبور التزاور؟
فما إن ترى إلا قبوراً ثووا بها (١٣)
مسنمة تسفى (١٤) عليها الأعاصر

كم عاينت من ذى عزّ وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال منها مناه، فبنى الحصون والدساكر (١٥)، وجمع
الأعلاق والذخائر:

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت
مبادرة تهوى إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التى بنى
وحفّ بها أنهارها والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة
ولا طمعت فى الذب عنه العساكر

أتاه من أمر الله ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يصدّ، فتعالى الملك الجبار، المتكبر القهار، قاصم الجبارين، ومببر
المتكبرين:

ص: ١٧٤

مليك عزيز لا يردّ قضاؤه
حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنا (١٦) كلّ ذى عزّ لعزّة وجهه
فكم من عزيز للمهيم صاغر (١٧)
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت
لعزّة ذى العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار (١٨)، والحدار الحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتجلّى لك من زينتها، واستشرف
لك من فتنها:

وفى دون ما عاينت من فجعاتها
إلى دفعها داع وبالزهد آمر
فجد ولا تغفل وكن متيقظاً
فعما قليل يترك الدار عامر
فشمر ولا تفتر فعمرك زائل
وأنت إلى دار الإقامة صائر

ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها

وإن نلت منها غبّة (١٩) لك ضائر

ص: ١٧٥

فهل يحرص عليها لبيب؟ أو يسرّ بلذّتها أريب (٢٠)؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى البيات (٢١)؟ أو تسكن نفس من يتوقّع الممات؟!

ألا لا ولكنّا نغرّ نفوسنا

وتشغلنا اللذات عمّا نحاذر

وكيف يلذّ العيش من هو موقن

بموقف عدل يوم تبلى السرائر

كأننا نرى ألا نشور (٢٢) وإنّا

سدى مالنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال طالب الدنيا من لذّاتها، ويتمتّع به من بهجتها، ومع فنون مصائبها، وأصناف عجائبها، وكثرة تعبها في طلابها، وتكادحه في اكتسابها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها (٢٣) وآلامها!

وما قد نرى (٢٤) في كلّ يوم وليلة

يروح علينا صرفها (٢٥) ويباكر

تعاورنا (٢٦) آفاتها وهموها

وكم قد ترى يبقى لها المتعاور

فلا هو مغبوط (٢٧) بدنياه آمن

ولا هو عن تطلا بها النفس قاصر

ص: ١٧٦

كم غرّت من مخلّد إليها، وصرعت من مكبّ (٢٨) عليها، فلم تنعشه (٢٩) من صرعته، ولم تقله من عشرته، ولم تداوه من سقمه، ولم تشفه من ألمه!

بلى أوردته بعد عزّ ومنعة

موارد سوء ما لهنّ مصادر

فلما رأى أن لا نجاؤه وأنه

هو الموت لا ينجيه منه التحاذر

تندّم إذ لم تغن عنه ندامة

عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما أسلف من خطاياها، وتحسّر على ما خلّف من دنياه، حيث لا ينفعه الاستعبار، ولا ينجيه الاعتذار، من هول المنية، ونزول البليّة!

أحاطت به أحزانه وهمومه
وأبلس لَمَّا أعجزته المعاذر
فليس له من كربۃ الموت فارح
وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت (٣٠) خوف المنية نفسه
ترددها منه اللهاء والحناجر

ص: ١٧٧

هنالك خفَّ عنه عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنة والعويل، ويئسوا من براء العليل، غمضوا بأيديهم عينيهِ، ومدّوا عند خروج نفسه يديه ورجليه:

فكم موجع يبكي عليه تفجعاً
ومسترجع داع له الله مخلصاً
وكم شامت مستبشر بوفاته
ومستنجد صبراً وما هو صابر
يعدّد منه كلّ ما هو ذاكِر
وعمّا قليل للذي صار صائر

شَقَّتْ جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجّع لرزيتيه إخوانه، ثمّ أقبلوا على جهازه، وتشمّروا (٣٢) لإبرازه:

وظلّ أحبّ القوم كان بقربه
وشمّر من قد احضروه لغسله
وكفّن في ثوبين واجتمعت له
يحثّ على تجهيزه ويبادر
ووجه لَمَّا قام للقبر حافر
مشيعة إخوانه والعشائر

ص: ١٧٨

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، فغشى من الجزع عليه، وقد خضبت الدموع خديهِ، ثمّ أفاق وهو يندب أباه، ويقول بشجو: وا ويلاه:

لعاينت من قبح المنية منظرأ
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم
ورنة نسوان عليه جوازع
يهال لمرآه ويرتاع ناظر
إذا ما تناساه البنون الأصاغر
مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره، فحثوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدّد (٣٣) والانتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وقد
يُسّوا من النظر إليه:

فولّوا عليه معولين وكلّهم	لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشّاء رتاع آمنين بدالها	بمدّيته (٣٤) بادی الذراعين حاسر
فريعت (٣٥) ولم ترتع قليلا وأجفلت	فلما نأى عنها الذي هو جازر

ص: ١٧٩

١٨٧

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها (٣٦)؛ أقبأفعال البهائم اقتدينا، وعلى عاداتها جرينا! عد إلى ذكر المنقول
إلى الثرى، والمدفوع إلى هول ما ترى:

ثوى مفرداً فى لحده وتوزّعت	مواريثه أولاده والأصاهر
وأحنوا على أمواله يقسمونها	فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها	ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة؟! أم كيف تنهّأ بحياتك وهي مطيّتك إلى مماتك؟! أم كيف تسبخ
طعامك وأنت منتظر حمامك؟!

ولم تنزوّد للرحيل وقد دنا	وأنت على حال وشيك مسافر
فيا ويح (٣٧) نفسى كم اسوف (٣٨) توبّتى	وعمرى فان، والردى لى ناظر
وكلّ الذى اسلفت فى الصحف مثبت	يجازى عليه عادل الحكم قاهر

فكم ترقع بدينك دنياك، وتركب في ذلك هواك، إنني لأراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين، أفبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا ذلك القرآن؟

تخرّب ما يبقى وتعمّر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر

ص: ١٨٠

وهل لك إن وافاك حتفك (٣٩) بغتة ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر

أرتضى بان تفتي الحياة وتنقضى ودينك منقوص وما لك وافر

فبك إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك؟ ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك؟ وأنت المتفضل المنان القائم الديان، العائد علينا بالإحسان بعد الإساءة منا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين ١٨٨.

الشعر الوعظي:

ونقرأ في ميراث الإمام زين العابدين (ع) الوعظي شعراً وعظيماً رقيقاً مؤثراً نذكر نماذج منها. من ذلك ما وراه الشيخ بهاء الدين العاملي في (الكشكول: ١٥ / ٣ - ١٥١).

ص: ١٨١

إذا بلغ إمرؤ علياً وعزاً تولى واضمحلاً مع البلاغ

كقصر قد تهدّم حافته إذا صار البناء على الفراغ

أقول وقد رأيت ملوك عصرى ألا لا يبيغين الملك باغ

١٨٨ (١) تفسير بعض المفردات الواردة في هذه الندبة: (١) حتى متى) خ. (٢) الأفك: أحببتك. (٣) أقوت: خلت. (٤) اخترمت: استبأصلت وقطعت (٥) الأرماس: القبور. (٦) وخطك القتيير: خالط الشيب سواد شعرك. (٧) ساه: غافل. (٨) لاه: مشغول. (٩) القذال: ما بين الأثنين من مؤخر الرأس. (١٠) معنى: مهتم. (١١) الحمام: الموت. (١٢) رميما: عظاما بالية. (١٣) ثوا: أقاموا. (١٤) تسفى: تذر. (١٥) الدسكرة: بناء كالقصر. (١٦) عنا: خضع وذل. (١٧) صاغر: ذليل. (١٨) البدار: السرعة. (١٩) الغيّة: البلغة من العيش. (٢٠) أريب: عاقل. (٢١) البيات: الإيقاع بالليل. (٢٢) نشور: إحياء. (٢٣) أوصابها: أمراضها. (٢٤) إربتي: حاجتي. (٢٥) صرفها: نواتيها. (٢٦) تعاورنا: تعاونوا على ضربه واعتوره. (٢٧) مغبوط: مسرور. (٢٨) مكب: مقبل. (٢٩) تنعشه: ترفعه. (٣٠) جشأت نفسه: نهضت من حزن أو فرع.. (٣١) تشمروا: تهيأوا. (٣٢) التلدّد: العُضّ على الشفاه وإظهار الحزن والتأسّف. (٣٣) المدينة: الشفرة الكبيرة. (٣٤) راعت: فزعت. (٣٥) دهاها: نزل بها. (٣٦) ويح: كلمة ترخّم وتوجّع. (٣٧) أسوف: أماطل، وأقول مرة بعد أخرى سوف. (٣٨) حتفك: موتك.

وقال أيضاً، كما فى (كشول الشيخ البهبهاني: ١٣ / ٣).

وأرباب الصوافن والعشار	تفكر أين أصحاب السرايا
وأين السابقون لدى الفخار	وأين الأعظمون يداً وبأساً
من الخلفاء والشمم الكبار	وأين القرن بعد القرن منهم
وهل حيّ يسان عن البوار. ١٨٩٠	كأن لم يخلقوا أو لم يكونوا

ومما يروى عنه فى هذا السياق:

وأضحوا رميمًا فى التراب وعطّلت	مجالس منهم أفقرت ومعاصر
--------------------------------	-------------------------

ص: ١٨٢

وحلّو بدار لا تراور بينهم	وأنى لسكان القبور التراور
فما إن ترى إلا قبوراً ثوا بها	مسطحة تسفى عليها الاعاصر
فما صرفت كفّ المنية اذ ات	مبادرة تهوى اليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التى بنى	وحفّ بها أنهاره والداكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة	ولا طمعت فى الذبّ عنه العساكر
مليك عزيز لا يردّ قضاؤه	حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنا كلّ ذى عزّ لعزّة وجهه	فكلّ عزيز للمهمين صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت	لعزّة ذى العرش الملوك الجبابر ١٩٠

١٨٩ (١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين (ع) محمود البغدادي: ص ١٣٣.

١٩٠ (١) القصيدة طويلة رواها ابن عساكر فى تاريخ دمشق: ٤١ / ٤٠٥ وعنه رواها ابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق: ١٧ / ٢٥٠ دار الفكر وابن كثير فى البداية والنهاية: ٩ / ١٢٩ دار إحياء التراث العربى ... فمن أراد فليرجع إلى تاريخ دمشق .. وقد ذكرنا شطرا من هذه القصيدة فى الرسالة الوعظية المتقدمة.

ومما يروى عنه (ع) فى الموعظة:

ص: ١٨٣

قد طال لبثك فى الفساد	وبئس الزاد زادك للمعاد
صبا ١٩١ فيك الفؤاد فلم تزرعه	وحدث إلى متابعه الفؤاد
وقادتك المعاصى حيث شاءت	وألفتك امرءاً سلس القياد
لقد نوديت للترحال فاسمع	ولا تتصامن عن المنادى
كفاك مشيب رأسك من نذير	وغالب لونه لون السواد.

ومن شعره (ع) الوعظى:

فعبى كل شىء نحن فيه	من الجمع الكثيف الى الشتات
وما حزنه من حل وحرم	يوزع فى البنين وفى البنات
وتنسنا الأحب بعد عشر	وقد صرنا عظماً باليات
كأننا لم نعاشرهم بود	ولم يك فيهم خلّ موات. ١٩٢

ص: ١٨٤

٥- التثقيف بمرجعية أهل البيت (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) وثقافة الولاء والبراءة

التثقيف بالولاء والبراءة و مرجعية أهل البيت (عليهم السلام):

١٩١ (١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين (ع): ١٣٧ عن كشكول الشيخ البهائي: ١٢ / ٣.

١٩٢ (٢) المصدر السابق عن كشكول البهائي: ١١ / ٣.

التثقيف بالولاء لآل محمد (ص) والبراءة من أعدائهم والناصبين لهم العدا، والتثقيف بحق أهل البيت (عليهم السلام) في المرجعية السياسية والفقهية والمعرفية في هذه الأمة ... من أهم وجوه ثقافة الجماعة الصالحة.

وعلى العموم كان دأب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الالتزام بالتثقيف بالولاء والبراءة وتثبيت حق أهل البيت (عليهم السلام) في الإمامة والقيادة والمرجعية في هذه الأمة.

النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) وإمامتهم:

فقد وصّى رسول الله (ص) أن تكون المرجعية السياسية (الزعامة السياسية) والمرجعية الدينية (الفقهية والمعرفية) لأهل بيته بعد وفاته، والنصوص على ذلك كثيرة من طرق الفريقين السنة والشيعه ... ولنا الآن بصدد الحديث عن هذه النقطة.

وأشهر نص ورد في (المرجعية السياسية) لأهل البيت (عليهم السلام) من بعده (ص) حديث الغدير الذي تبلغ طرقة عند الفريقين حدّ التواتر، بلا إشكال، وجملته من طرقة صحيحة على المعايير المعروفة في علم الحديث.

ص: ١٨٥

وأشهر نص ورد في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) الدينية (الفقهية والمعرفية) حديث الثقلين الذي بلغت روايته أيضاً حدّ الاستفاضة، وجملته من طرقة صحيحة، ومنها طريق مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم.

والذي حصل بعد وفاة رسول الله (ص) أن الناس حجبوا عنهم تلك المواقع، فصبروا حتى تكون مصيبتهم في المواقع التي سلبت عنهم خاصّة ولا تكون مصيبتهم فيها وفي الإسلام.

يقول الإمام عليّ (ع) في خطبته المعروفة بالشقشقية عن هذا الحق الذي ضيعه الناس بعد رسول الله (ص):

فرايت الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، اري تراثي نهبا ١٩٣.

يقول أمير المؤمنين (ع) فيما يرويه الشريف الرضي في نهج البلاغة عنه (ع):

فلما مضى (ص) تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنحُوهُ عَنِّي من بعده، فما راعني ١٩٤ إلا انتيال ١٩٥ الناس على فلان ١٩٦ يبائعونه، فأمسكت يدي ١٩٧ حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام

ص: ١٨٦

١٩٣ (١) نهج البلاغة: ٣ / ١١٨ - ١١٩ كتاب رقم ١٦٣ من كتاب له (ع) إلى أهل مصر مع مالك الأشر لما ولاه إمارتها.

١٩٤ (٢) راعني: أي أفرغني.

١٩٥ (٣) انتيال: إقبال وانصباب وتراحم.

١٩٦ (٤) فلان: الخليفة الأول.

١٩٧ (٥) فأمسكت يدي عن بيعه الخليفة الأول وامتنعت عن مبايعته.

وأهله أن أرى فيه ثلماً ١٩٨ أو هدمًا تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم ١٩٩.

وسرعان ما لملم آل البيت (عليهم السلام) جراحهم، وتحركوا في المسيرة الإسلامية الكبرى.

ولكن الحق الذي ضيعه الناس لأهل البيت (عليهم السلام) لم يكن حقاً شخصياً ليسكت عنه أهل البيت (عليهم السلام)، وإنما كان حقاً لأمة رسول الله (ص) ... فقد شاء الله تعالى أن يقترب هدى أهل البيت (عليهم السلام) بهدى القرآن ولا يفترقا عن بعض، ويرسما معاً صراط الله المستقيم في حياة المسلمين، منذ وفاة رسول الله (ص) إلى أن تقوم الساعة في نهاية التاريخ، كما ورد هذا المعنى في بعض الفاظ حديث الثقلين:

عن رسول الله (ص)

أنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ٢٠٠.

ومعنى هذا النص ومغزاه إذا تأملنا أن حجب أهل البيت (عليهم السلام) عن موقع الريادة والقيادة والمرجعية الفقهية والمعرفية في الإسلام يؤدى إلى تشتيت المسلمين إلى مذاهب فقهية ومعرفية كثيرة في الفروع والأصول، كما حصل بالفعل.

المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)

ولهذه الأسباب كان أهل البيت (عليهم السلام) يحرصون على أن يحافظوا على تواتر النصوص النبوية الصريحة بمواقع أهل البيت (عليهم السلام) في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله (ص)، لئلا تضع هذه النصوص وتفقد استفاضتها وتواترها كما ضاعت الحقوق قبل ذلك.

ص: ١٨٧

ومن أجل ذلك استشهد أمير المؤمنين (ع) طائفة من أصحاب رسول الله (ص) على بيعة الغدير في رحبة مسجد الكوفة، فناشدهم الله من سمع رسول الله (ص) يقول في غدير خم:

من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه)

فقام اثنا عشر بدرياً وشهدوا بذلك ٢٠١.

ومن ذلك احتجاج الإمام الحسن (ع):

أخرج الحافظ أبو العباس بن عقدة: (أن الحسن بن عليّ (ع) لما جمع على صلح معاوية قام خطيباً وحمد الله، وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوة، ثم قال:

١٩٨ (١) ثلماً: أى خرقاً.

١٩٩ (٢) نهج البلاغة: كتاب رقم: ٦٢ من كتاب له (ع) إلى مالك الاشتهر رضوان الله عليه عامله على مصر).

٢٠٠ (٣) أخرجها الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ١١٨ / ٣ وأخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١١٣ / ٤ وغيرهم.

٢٠١ (١) راجع تفاصيل حديث المناشدة في الغدير: ٣١٤ - ٣٦٦ قال الحلبي في سيرته (٣ / ٣٠٣): (احتجّ عليّ (ع) به بعد أن آلت إليه الخلافة رداً على من نازعه فيها).

إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واصطفانا، وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً. لم تفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدّي محمد (ص).

وقد سمعت هذه الأُمّة جدّي (ص) يقول: ما ولّت أُمّة رجلاً وفيهم ممن هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوه.

وسمعه يقول لأبي:

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدى.

وقد روه وسمعه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: من كنت مولاه، فعلىّ مولاه، اللهمّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه. ثمّ أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب

. ذكر شرطاً من هذه الخطبة (القندوزي) الحنفى فى (ينابيع المودّة) ٢٠٢.

كما جمع الحسين (ع) مَنْ تبقّى من أصحاب رسول الله (ص) وأولاد الصحابة والتابعين فى منى فى ملتقى واسع عقده الإمام الحسين (ع) فى السنين الأخيرة من حكم معاوية، جمعهم فى سرادقة، فكانوا زهاء ألف أو أكثر.

ص: ١٨٨

فخطب فيهم، فقال: إنّ هذا الطاغية (معاوية) قد فعل بأهل بيت رسول الله (ص) وشيعته ما صنع، إنّّه (الحسين (ع)) يخاف اندثار فضائل علىّ (ع) فذكر لهم طائفة من حديث رسول الله (ص) فى علىّ بن أبى طالب وطلب منهم أن يشهدوا بصحة الحديث إن كانوا قد سمعوا الحديث، فشهدوا له جميعاً، ثمّ طلب منهم أن يستروا عليه هذا الموقف، وينشروا هذه الأحاديث والنصوص، إذا رجعوا إلى بلادهم، وكان فيما تلاه عليهم نصوصاً فى إمامة علىّ (ع) ٢٠٣.

وكان للإمام الباقر (ع) جهد توثيقى وإعلامى نحو ذلك فى تثبيت الاستفاضة والتواتر لهذه الأحاديث التى كانت تتعرض للتعتيم والإنكار من قبل علماء البلاط الأموى من مثل محمد بن مسلم الزهرى وأمثاله ممن خالطوا سلطان بنى أمية.

الإمام (ع) يدعو إلى تثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام):

رغم كلّ الإرهاب الأموى الذى كان يعيش معه علىّ بن الحسين (ع) كان يسعى لتوثيق وتثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) السياسيّة والفقهية والمعرفية.

فهو يصرّح بإمامته وإمامة ذريّته من بعده. يقول فى كلام له يرويه الصدوق فى الآمالى والطبرسى فى الاحتجاج:

نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالى المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان أهل السماء، ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهر مشهود أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله ٢٠٤.

ص: ١٨٩

وقال نصر بن أوس أبو المنهال الطائي: (قال لى على بن الحسين (ع):

الى من يذهب الناس؟ (قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا. قال: قل لهم يجيئون الى ٢٠٥.

وكان يدعو إلى نفسه إماماً للمسلمين وإلى ذريته من بعده. قال أبو خالد الكابلي: (يا مولاى أخبرنى كم يكون الأئمة بعدك؟

قال ثمانيه، لأن الأئمة بعد رسول الله (ص) إثنا عشر إماماً، عدد الأسباط: ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع وثمانية من ولدى) ٢٠٦.

وكان (ع) يقول:

ما ينقم الناس منّا؟! فنحن والله شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة ٢٠٧

. كما كان الإمام على بن الحسين (ع) يدعو إلى مرجعيته الدينيّة والثقافيّة في عهده ثم مرجعيّة ذريّة من بعده.

روى عنه (ع):

إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى ٢٠٨.

وروى أنه (ع) قال لرجل شاجره فى الفقه:

يا هذا لو صرت إلى منازلنا لارينّا آثار جبرئيل فى رحالنا، أفيكون أحد أعلم بالسنة منّا؟ ٢٠٩.

عن موسى بن القاسم قال: (قال على بن الحسين (ع):

إن محمداً (ص) كان أمين الله فى أرضه، فلما قبض محمد كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله فى

٢٠٤ (٢) أمالى الصدوق: ١١٢ مجلس ٣٤ والاحتجاج: ٣١٧.

٢٠٥ (١) تاريخ دمشق: ٣٦٥ / ٤١.

٢٠٦ (٢) كفاية الأثر: ٢٣٦ - ٢٣٧ والصراط المستقيم لعلى بن يونس العاملى النباطى: ٢ / ١٣١ وبحار الأنوار: ٣٨٨ / ٣٦.

٢٠٧ (٣) الكافي: ٢٢١ / ١.

٢٠٨ (٤) إكمال الدين: ٣٢٤.

٢٠٩ (٥) نزعة الناظر للحلوانى: ٤٥ وبحار الأنوار: ١٦١ / ٧٥.

ص: ١٩٠

أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم. نحن النجباء، ونحن أفرط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس بدين الله، نحن الذين شرع الله لنا دينه، وقال في كتابه:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

فقد علّمنا، وبلغنا ما علّمنا، واستودعنا علمهم. نحن ورثة الأنبياء، ونحن أولو العزم من الرسل ٢١٠.

الدعاء السياسي:

وكان من دعائه (ع) يوم الأضحى ويوم الجمعة ما يقول: اللهم إن هذا المقام (إمامة العيد والجمعة) لخلفائك وأصفياك، ومواقع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصتهم بها قد ابتزوها، وأنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأناي شئت، ولما أنت أعلم به، غير متهم على خلقك، ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابتك منبذاً، وفرائضك محرّفة عن جهات أشراك (شرائعك)، وسنن نبيك متروكة، اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضى بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم ٢١١.

وكان المعلى بن خنيس إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثاً مغبراً في زى ملهوف، فإذا صعد الخطيب المنبر مدّ يده نحو السماء ثم قال: اللهم هذا

ص: ١٩١

مقام خلفائك وأصفياك، ومواقع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصتهم بها، قد ابتزوها، وأنت المقدر للأشياء، لا يغالب قضاؤك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأناي شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابتك منبذاً، وفرائضك محرّفة عن جهات شرائعك، وسنن نبيك صلواتك عليه وآله متروكة، اللهم العن أعداءهم، وأعوانهم، إنك على كل شيء قدير ٢١٢.

وكان من دعائه (ع) يوم عرفه في واد عرفه كما في (الصحيفة السجّادية) ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

اللهم إنك أيدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت (عن) معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاز عند نهيه، وألا يتقدمه متقدّم، ولا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين، اللهم فأوزع لوليّك شكر ما أنعمت به عليه، وأوزعنا مثله فيه، وآتته من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح له فتحة يسيراً، أعنه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقوّ عضده، وراعه بعينك، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك، وامدده بجندك الأغلب، وأقم به كتابك وحدودك

٢١٠ (١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار: ٢٩٠ ط ١٤٠٤ - ١٣٦٢ هـ. ش طهران - الأعلّمي، والكافي للكليني: ١/ ٢٢٤، وقريباً من هذا النص ما رواه القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام: ٦٣، ومختصر بصائر الدرجات: ١٧٤.

٢١١ (٢) من أدعية الصحيفة السجّادية الكاملة، وهو الدعاء (٤٨) مؤسّسة النشر الإسلامي: ص ٢٧٧.

٢١٢ (١) رجال الكشي: ٢٤٣، بحار الأنوار: ٤٧ / ٣٦٣.

وشرائعك وسنن رسولك (ص)، وأحى به ما أماته الظالمون من معالم دينك، وأجل به صداء الجور عن طريقك، وأبّن به الضراء من سبيلك، وأزل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألّن جانبه لأوليائك، وابسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضاه ساعين، والى نصرته والمدافعة عنه مكنفين، وإليك والى رسولك (ص) بذلك متقربين ٢١٣.

ص: ١٩٢

وليس من شك أن الإمام (ع) لا يقصد بهذا الدعاء طغاة بني أمية الذين كانوا يهلكون الحرث والنسل، وإنما يقصد بهذا الدعاء أئمة الحق من أهل البيت (عليهم السلام) أمناء الأمة وخلفاء رسول الله في أمته والظاهرين المظهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس ... وهو (ع) في عصره إمام هذه الأمة الذي ابتز بنو أمية حقه وموقعه ٢١٤.

الشعر السياسي:

في الأدبيات السياسية التي وصلت إلينا عن الإمام زين العابدين (ع) نلتقى بالشعر السياسي، وهو ظاهرة سياسية بارزة في أدبيات أهل البيت (عليهم السلام) في الإعلان عن الظلم الذي نال أهل البيت (عليهم السلام) من قبل الحكام الظالمين وعمّالهم وأذنانهم الذين عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الرعب والإرهاب، وعن الظلم الذي طالهم من قبل علماء البلاط الأموي الذين ابتزّوهم موقع الفتيا والمرجعية الدينية والمعرفة بين المسلمين.

والشعر السياسي ينتشر بين الناس بسرعة ويحفظه الناس ويتناقلونه، وقد دأب أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم منذ هذا التاريخ على الاهتمام بالشعر السياسي، فكان منهم الفرزدق وكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي والعبدى الكوفي وغيرهم.

وكان أهل البيت (ع) يُرغّبون شيعتهم في هذا النوع من الشعر، ويتخذونه وسيلة إلى نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) واستحقاقاتهم السياسية والدينية، وشجب أعدائهم وخصومهم والناصبين لهم العداء.

ص: ١٩٣

وللإمام زين العابدين (ع) شعر سياسي يذكره ابن شهر آشوب في المناقب والمجلسي في البحار.

ومحور هذا الشعر الشكوى مما نال أهل البيت (عليهم السلام) من الظلم بعد رسول الله (ص) وخاصة من بني أمية، والتنديد بمن غصب حقوق أهل البيت (عليهم السلام) ومواقعهم في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله (ص).

ومن ذلك ما كان ينشده في طريقه من الكوفة إلى الشام وهو أسير بيد زبانية بني أمية:

ساد العلوج فما ترضى بذا العرب. ٢١٥
وصار يقدم رأس الأمة الذنب

٢١٣ (٢) الصحيفة السجادية الكاملة مؤسّسة النشر الإسلامي قم ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش.

٢١٤ (١) قد يوحى بعض الكلمات الواردة في الدعاء إلى أن الداعي غير المدعو له مثل (وهب لنا رأفته ورحمته) (واوزعنا مثله فيه)، والجواب أن هذه الأدعية ذوات صفات تعليمية للناس تعلمهم كيف يدعون لإمام المسلمين يوم عرفة، مثلاً.

٢١٥ (١) العلج: كل جاف شديد من الرجال.

يا للرجال لما يأتى الزمان به
من العجيب الذى ما مثله عجب
آل الرسول على الأفتاب عارية
وآل مروان تسرى تحتهم نجب ٢١٦

وأيضاً يقول (ع) فى ذلك الطريق:
هذا الزمان فما تفنى عجائبه
عن الكرام ولا تفنى مصائبه

ص: ١٩٤

فليت شعرى إلى كم ذا يحاربنا
بصرفه والى كم ذا نحارب
يسرى بنا فوق أعياس بلا وطاء
وسائق العيس يحمى عنه عازبه
كأننا من بنات الروم بينهم
أو كل ما قاله المختار كاذبه ٢١٧

ومن شعره السياسى فى التشييد بموقع أهل البيت (عليهم السلام) فى الإسلام:

لنحن على الحوض رواده
نذود ونسقى ورّاده
وما فاز من فاز إلا بنا
وما خاب من حبنا زاده
ومن سَرَّنا نال منا السرور
ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا
فيوم القيامة ميعاده

ص: ١٩٥

ويروى له (ع):

٢١٦ (٢) مقتل الحسين لأبى مخنف: ص ١٨٦.

٢١٧ (١) مقتل الحسين لأبى مخنف: ص ١٨٩، العوالم: ص ٤٢٨، بلاغة الإمام على بن الحسين (ع): ٢٤٥ - ٢٤٦.

يجرّعها في الأنام كاظمنا

نحن بنو المصطفى ذوو غصص

أولنا مبتلى وآخرنا

عظيمة في الأنام محنتنا

ومن شعره (ع) السياسيّ:

بات من فجعة الزمان ينجى

ليت شعري هل عاقل في الدياجي

ضائع بين عصابة أعلاج ٢١٨.٢١٩

أنا نجل الإمام ما بال حقّي

ص: ١٩٦

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي

الأسس السياسيّة الثلاثة في ثقافة أهل البيت (عليهم السلام):

في ظروف الإرهاب الأموي والعبّاسي تستوقفنا في تاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) السياسيّة ثلاثة أسس يتفق عليها أهل البيت (عليهم السلام) من مصرع الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى.

وهذه الأسس الثلاثة هي:

١- مقاطعة الحكّام الظلمة من بنى أميّة وبنى العبّاس.

٢- الحضور الدائم والقوى والفاعل في وسط الأمة بعرضها العريض، وعدم الانكفاء على الذات.

٣- بناء وتشبيد وتوسعة الجماعة الصالحة.

ودونك شرحاً موجزاً لهذه الأسس الثلاثة:

١- مقاطعة الحكّام الظلمة:

كان أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على هذه المقاطعة ويصرّحون في كلّ الظروف على حرمة التعاون مع الظلمة، حتى لو كان بمقدار قطّ قلم ومدّة دواء (حبر) أو أن يكي لهم أحد وكاء:

٢١٨ (١) الأعلاج: جمع عالج وهو بمعنى الشديد الغليظ الصلف من الرجال.

٢١٩ (٢) النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين (ع) لمحمود البغدادي: ص ١٣٠.

إلا أن تكون المهمة التي تناط بهم من المهام التي يحتاج إليها الناس على كل حال، وتتوقف عليها حياتهم، ومن دونها تتعطل حياة الناس، من قبيل الأمن والتعليم والنظام وأمثال ذلك، دون أن يكون في ذلك دعم وإسناد للظالم. وبين المستثنى (السائق) والمستثنى منه (المحظور) فرق واضح.

ص: ١٩٧

والغاية من هذا الحظر هو إخلاء أطراف الظالم وعزله سياسياً واجتماعياً، وإبعاد الجمهور عنه، وإشعاره بالعزلة السياسية والاجتماعية وأنه حالة منبوذة في وسط المجتمع.

وقد حققت هذه التعاليم الكثير من أهدافها في المجتمع الإسلامي يومذاك، حتى أصبح العلماء الصالحون يتجنبون الدخول في أعمال خلفاء بني أمية وبني العباس ويتجنبون الدخول في قصورهم ومعاشرتهم، ما أمكنهم ذلك.

وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيرة نلوا عليكم بعضها:

روى محمد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) في حديث قال:

إياكم وصحبة العاصين ومعوثة الظالمين

وروى طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (ع)، قال:

العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به شركاء

وروى الكليني أيضاً: عن محمد بن عذافر، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله (ع): يا عذافر! نُبِّئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي، فقال له أبو عبد الله (ع) لما رأى ما أصابه: أى عذافر! إنما خوفتك بما خوَّفني الله عز وجل به، قال محمد: فما زال أبي مغموماً مكروباً حتى مات (.)

وروى ابن محبوب، عن حريز، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إِتَّقُوا اللَّهَ، وصُونُوا دِينَكُمْ بالورع، وقوَّوه بالتقية والاستغناء بالله عز وجل، عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، إنه من خضع لصاحب سلطان، ولمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه أخمله الله عز وجل ومقته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه منه شيء نزع الله جل اسمه البركة منه، ولم يأجره على شيء منه ينفقه في حج ولا عتق ولا بر (.)

روى الكليني عن هشام بن سالم عن أبي بصير، قال: (سألت أبا جعفر (ع) عن أعمالهم فقال لي: يا أبا محمد! لا ولا مدة قلم، إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله (.)

ص: ١٩٨

عن جهم بن حميد، قال: قال لي أبو عبد الله (ع): أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال: قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: فراراً بديني، قال: وعزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال لي: الآن سلم لك دينك ٢٢٠.

٢- الحضور في وسط الأمة:

من خلال كلمات أهل البيت (عليهم السلام) نكتشف خيوط مؤامرة واسعة على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) تسعى إلى عزلهم عن الساحة الإسلامية الواسعة (الأمة الإسلامية)، وحشرهم في زاوية حرجة، والتضييق عليهم ... عندئذ يفقد شيعة أهل البيت (عليهم السلام) دورهم وتأثيرهم في توعية الرأي العام في مساحة الأمة الواسعة، وينقلبون إلى مجموعة منكفئة على نفسها، شأنهم في ذلك شأن الخوارج.

لقد أدرك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هذه المؤامرة الأموية الخبيثة، وكافحوها بالتأكيد على شيعتهم بضرورة الحضور المؤثر القوي في وسط الأمة، ومنعهم من الانكفاء على الذات، ووضحوا لهم أنهم إذا خرجوا من بحر الأمة فسوف يفقدون تأثيرهم ودورهم في تصحيح المسيرة، وفضح السلطان وتعريته للجهور.

وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نذكر طائفة منها هنا، شاهدة على ما نقول:

وهذه الثقافة هي ثقافة الانفتاح على الأمة الكبيرة، وصّى بها أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم ...

وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) اليوم في ظروف الفتن الطائفية الحاضرة مدعوون إلى حالة الانفتاح هذه بشكل قوى، لإحباط الفتن الطائفية التي يثيرها هنا وهناك

ص: ١٩٩

عملاء الاستكبار العالمي وأذناهم بين المسلمين من الشيعة والسنة في كل مكان تقريباً.

وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحام، قال: قال أبو عبد الله (ع): أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد (ص).

وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، وأن رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صلُّوا عشائركم، واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فبسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر.

والله لحدّثني أبي (ع) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه أدانا للأمانة وأصدقنا لحديث ٢٢١.

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين

ص: ٢٠٠

خلطائنا من الناس؟ قال: فقال (ع):

تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم ٢٢٢.

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب، قال: قلت له (الصادق (ع)) كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: (تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون. فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدّون الأمانة لهم ٢٢٣).

وفي رواية أخرى للكلينى فى الكافى بسند صحيح عن حبيب الحنفى، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: (عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، وأحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره ٢٢٤).

وبسند صحيح عن مرّازم قال: قال أبو عبد الله (الصادق (ع)):

عليكم بالصلاة فى المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بد لكم من الناس، إن أحداً لا يستغنى عن الناس فى حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض ٢٢٥.

ص: ٢٠١

٣- بناء الجماعة الصالحة:

وهو الأساس الثالث فى سياسة أهل البيت (عليهم السلام) وقد وضّحنا أهميّة مشروع الجماعة الصالحة فى مواجهة الانحراف الأموى والعبّاسى عن الإسلام النقى الذى جاء به رسول الله (ص) من عند الله.

لقد تعرّض دين الله على يد بنى أميّة وبنى العباس إلى انحرافات كبيرة فى الأصول والفروع، وتغيّر الكثير من أحكام الله تعالى وحدوده. فقد حلّوا المنكرات التى حرّمها الله تعالى، واستباحوها فى قصورهم، وأشاعوها بين المسلمين ... وما بالك إن كان الذى يسمى نفسه خليفة رسول الله (ص) يقارف شرب الخمر علانية، ويعرف الناس منه ذلك، ولا يأبى هو أن يعرف المسلمون منه ذلك، وأشاعوا الظلم والفساد بين المسلمين، وقارفوا من المنكرات والمحرّمات فى قصورهم الكثير وأشاعوها بين المسلمين، فاصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وكانت خيارات أهل البيت (عليهم السلام) فى حفظ الإسلام وتعاليم الوحي والخطّ الصحيح للإسلام محدودة جداً فى ظروف القهر والعنف والإرهاب السياسى.

٢٢٢ (١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٩٨ كتاب الحجّ آداب العشرة الباب الأول الحديث الثانى.

٢٢٣ (٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٩٩ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثالث.

٢٢٤ (٣) وسائل الشيعة: ٨ / ٣٩٩ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الرابع.

٢٢٥ (٤) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٩ - ٣٩٩ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الخامس.

وكان من أهمّ الفرص والخيارات الممكنة لهم: أن يبدؤوا في ظروف الإرهاب والقهر السياسىّ والأمنىّ ببناء (الجماعة الصالحة) وهم شيعتهم القريبون منهم، ويربون هذه الجماعة على المنهج الإسلامىّ الصحيح فى العلاقة بالله، والالتزام بحدوده وأحكامه، ومكافحة التحريفات الأموية العباسية وتعريتها وفضحها، والالتزام بالسرية الشديدة المكثفة لحفظ هذه الجماعة من تسلل السلطان وعيونه، والابقاء عليهم، بعيداً عن الضوء، وعن متناول جلاوزة الأنظمة وعمّالهم.

ص: ٢٠٢

وكان لابد من أن يكون بناء هذه الجماعة بناءً محكمًا مقاومًا يقاوم ضغوط النظام والفتن السياسية والاجتماعية. ولتحقيق ذلك كان لابد من التواصل والتكافل والتعاون الشديد على البر والتقوى داخل الجماعة، وفى نفس الوقت المحافظة على سرية هذه الجماعة وإبعادهم عن الأضواء للابقاء عليهم بعيداً عن سطوة وضراوة النظام.

ولذلك كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على أهمية التواصل والتكافل والتعاون على البر والتقوى بينهم، كما كانوا يؤكّدون فى نفس الوقت، على التواصل والتعاون والتكامل فى بحر الأمة العريض.

وكانوا يواجهون أصحابهم بعتاب وانقباض، إذا وجدوا منهم تناقضاً فى مساعدة اخوانهم ومدّ اليد إليهم فى ما يواجهونه من المعاناة والعذاب، وعندما يجدون قصوراً من بعضهم فى التواصل والتكامل والتعاون داخل الجماعة.

روى إسحاق بن عمّار الصيرفى قال: كنت بالكوفة، فبأتينى إخوان كثيرون، وكرهت الشهرة، فتخوفت أن أشتهر بدينى، فأمرت غلامى، كلما جاءنى رجل منهم يطلبنى يقول: ليس هو ههنا.

قال فحججت تلك السنة، فلقيت أبا عبد الله (ع)، فرأيت منه ثقلاً وتغيّراً فيما بينى وبينه. قال قلت جعلت فداك ما الذى غيّرني عندك؟ قال الذى غيّرَكَ للمؤمنين. قلت: جعلت فداك، إنّما تخوفت الشهرة، وقد علم الله شدة حبى لهم. فقال: يا إسحاق لا تملّ زيارة إخوانك، فإن المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن، فقال مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهم حباً لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه، فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشدّ إقبالا، فإذا تعانقا، غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان إلا وجهه، لا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: غفر الله لكما فاستأنفا فإذا أقبلنا على المسائلة قالت الملائكة بعضهم لبعض: تنحوا عنهما فإن

ص: ٢٠٣

لهما سراً وقد ستر الله عليهما قال إسحاق: قلت له جعلت فداك: ألا يكتب علينا لفظنا، فقد قال الله عزّ وجلّ ما يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [سورة ق: ١٨].

قال فتنفس ابن رسول الله (ص) الصعداء، ثم بكى حتى خضبت دموعه لحيته، وقال يا إسحق إنّ الله تبارك وتعالى إنما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذا التقيا إجلالا لهما فإذا كانت الملائكة لا تكتب لفظهما، ولا تعرف كلامهما، فقد عرفه الحافظ عليهما، عالم السرّ وأخفى.

يا إسحق فخف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك، ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها، فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك ٢٢٦.

والذى يتابع كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من بعد مصرع الإمام الحسين (ع) إلى الغيبة الصغرى، وهى الفترة التى تم فيها تشييد الجماعة الصالحة واستقرارها فى الأرض، وتوسّعت وانتشرت فى بلاد واسعة من الأرض فى آسيا وأفريقيا، يجد تأكيداً بليغاً فى الاهتمام ببناء الجماعة الصالحة والتواصل والتكافل والتعاون على البر والتقوى داخل هذه الجماعة. التواصل والتكافل الاجتماعى فى كلمات الإمام على بن الحسين (ع):

وقدّر الله تعالى: أن يكون الإمام على بن الحسين (ع) هو الذى يضع اللبنة الأولى للجماعة الصالحة، فى ظروف صعبة غاية الصعوبة.

ص: ٢٠٤

ولكن رغم كل الإرهاب الأموى، فقد نجح المشروع على يد زين العابدين (ع) نجاحاً باهراً. وكان للرقيق الذين يشتريهم الإمام على بن الحسين (ع) ويعتقهم فى سبيل الله وقد بلغ عددهم الـ ٢٢٧ ألفاً كما يقول المؤرخون دور فى إعداد هذه الجماعة.

هؤلاء كانوا فى دائرة زين العابدين (ع) يربطهم به ولاء العتق.

يقول عبد العزيز سيّد الأهل فى كتابه القيم عن الإمام زين العابدين (ع): وجعل الدولاب يسير، والزمن يمرّ، وزين العابدين يهب الحرية فى كل عام وكل شهر وكل يوم، وعند كل هفوة وغلطة، وكل خطأ حتى صار فى المدينة جيش من الموالين الأحرار والحرّاء، وكلّهم فى ولاء زين العابدين ٢٢٨.

فكان إذا تعرّض زين العابدين (ع) لأذى أو أساءة وقفوا معه وانتصروا له.

يروى ابن الجوزى فى صفة الصفوة عن عبد الغفار بن القاسم الأنصارى قال: كان على بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فتارت إليه العبيد والموالى. فقال على بن الحسين مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل، فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه، فكان الرجل يقول بعد ذلك: أشهد أنّك من أولاد الرسول ٢٢٩.

ومهما يكن من أمر فقد بدأ على بن الحسين زين العابدين (ع) فى المدينة بأعداد (الجماعة الصالحة) وهم شيعته، يعلمهم ويتفقهم فى الدين، ويعظهم، ويتولّى أمورهم، ويتفقدّهم، ويأمرهم بالكتمان وحفظ السر، ويمنعهم من الثروة والطيش والنزق.

٢٢٦ (١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ١٤٦-١٤٧ ط ١٣٦٨ تحقيق السيد محمد مهدى الخرسان منشورات الشريف الرضى. والكافى للكلينى: ٢ / ١٨١-١٨٢.

٢٢٧ (١) راجع بحار الأنوار: ١٠٤ / ٤٦-١٠٥.

٢٢٨ (٢) زين العابدين سيد الأهل: ص ٤٧.

٢٢٩ (٣) صفة الصفوة لابن الجوزى: ٢ / ١٠٠.

ص: ٢٠٥

فكان يقول (ع):

وددت والله إنني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدى: النزق وقلة الكتمان ٢٣٠.

وقد أعطى الإمام زين العابدين (ع) كثيراً من جهده ووقته وإهتمامه لإعداد هذه الجماعة ورعايتها وتنقيتها.

وكان من أهم وجوه تنقيف هذه الجماعة التنقيف بثقافة التواصل والتكافل الاجتماعى والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم.

ونحن إذ لا يسعنا الآن أن نجمع نصوص أحاديث الإمام زين العابدين (ع) فى بناء وتشبيد الجماعة الصالحة وتحصينها ضدّ التحدّيات المعاصرة لها، فى ظروف الإرهاب الأموى ... أحاول هنا أن أضع بين يدي القارئ طائفةً من النصوص المروية عن الإمام زين العابدين (ع) فى التواصل والتكافل الاجتماعى. والتعاون على البرّ والتقوى داخل الجماعة الصالحة، وإليك شواهد ونماذج من هذه النصوص:

١- قضاء حوائج المؤمنين:

نقرء فى حديث الإمام زين العابدين (ع) جملةً من النصوص فى الترغيب فى قضاء حوائج المؤمنين نذكر منها النصين التاليين:

عن أبى حمزة الثمالى عن علىّ بن الحسين (عليهما السلام) قال

(: من قضى لأخيه حاجة، قضى الله له بها مائة حاجة، فى إحداهنّ الجنّة، ومن نفّسَ عن أخيه كربةً، نفّس الله عنه كربةً يوم القيامة، بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام، ومن سعى له فى حاجة حتى قضاه له فسّر بقضائها، فكان كإدخال السرور على رسول الله (ص)، ومن سقاه من ظمأ سقاه

ص: ٢٠٦

الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومن كساه من عرى كساه الله من إسترىق وحرير، ومن كساه من غير عرى لم يزل فى ضمان الله ما دام على المكسو من الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتنه ويكف وجهه ويصل به يديه، يخدمه الولدان، ومن حمّله (على) رحله بعثه الله يوم القيامة على ناقّة من نوق الجنّة، يباهى به الملائكة، ومن كفنه عند موته، فكأنما كساه يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجةً يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله فى قبره بصورة أحبّ أهله إليه، ومن عاده عند مرضه حفّته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول طبت وطابت لك الجنّة، والله لقضاء حاجته أحبّ إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما فى الشهر الحرام ٢٣١.

وفى نصّ آخر، يحثّهم الإمام (ع) على المواساة والإحسان، والمنافسة فيقول:

شيعتنا! أمّا الجنّة فلن تفوتكم، سريعاً كان أم بطيئاً، ولكن تنافسوا فى الدرجات!

٢٣٠ (١) الكافي: ٢/ ٢٢١ وبحار الأنوار: ٧٥/ ٧٢ وخصال الصدوق: ٤٤. النزف: الطيش والخفة وسرعة الانفعال والاستعجال.

٢٣١ (١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ١٤٦، منشورات الشريف الرضى قم ١٣٦٨ ش، تحقيق السيد محمّد مهدي الخراسان.

واعلموا إن أرفعكم درجات، وأحسنكم قصورا، ودورا، وأبنية: أحسنكم إيجاباً بإيجاب المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم. إن الله ليقرّب الواحد منكم إلى الجنّة بكلمة يكلم أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة مائة ألف عام في سنة بقدمه، وإن كان من المعذّبين بالنار. فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره ٢٣٢.

٢- صلة الرحم:

عن أبي جميلة عن الوصافي، عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (ص):

من سرّه أن يمد الله في عمره وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه،

ص: ٢٠٧

فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق (بليغ) تقول: يا ربّ صلّ من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير إذ أتته الرحم التي قطعها فتتهوى به إلى أسفل قعر في النار ٢٣٣.

٣- شكر الجميل:

روى سفيان بن عيينة عن عمّار الدهني قال: سمعت عليّ بن الحسين (عليهما السلام) يقول:

إن الله يحبّ كلّ قلب حزين ويحبّ كلّ عبد شكور، ويقول الله تعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلانا فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم الله أشكركم للناس ٢٣٤.

٤- قبول الاعتذار من المسيئين:

محمّد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن عمه الحسين بن عيسى بن عبد الله عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى (ع) قال: أخذ أبي بيدي ثمّ قال يا بني إن أبي محمّد بن عليّ أخذ بيدي، كما أخذت بيدك وقال إن أبي عليّ بن الحسين أخذ بيدي ثمّ قال

(: يا بنيّ افعّل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله، كنت أنت من أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره ٢٣٥.

٥- الرفق:

في كتاب الخصال عن الزهري عن عليّ بن الحسين (ع) قال: كان آخر ما أوصى به الخضر، موسى بن عمران (عليهما السلام) أن قال:

٢٣٢ (٢) بحار الأنوار: ٣٠٨ / ٧١.

٢٣٣ (١) الكافي للكليني: ١٥٦ / ٢.

٢٣٤ (٢) الكافي: ٩٩ / ٢ ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٧٤ / ٢.

٢٣٥ (٣) الكافي: ١٥٢ / ٨ والوافي: ٤٥٠ / ١٠.

لا تُعَيِّرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَإِنْ أَحَبَّ

ص: ٢٠٨

الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: القصد في الشدة، والعفو في القدرة، والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله تعالى به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى ٢٣٦.

٦- الهداية والتتقيف والتعليم:

عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام): أوحى الله تعالى إلى موسى (ع):

حَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِي وَحَبِّبْ خَلْقِي إِلَيَّ.

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال:

ذكرهم آتني ونعمائي ليحبوني، فلتن ترد آبقا عن بابي أو ضالا عن فنائي، أفضل لك من عبادة (مائة) سنة صيام نهارها وقيام ليلها.

قال موسى (ع): ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال:

العاصي المتمرد.

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال:

الجاهل بإمام زمانه تُعرفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرفه شريعته، وما يعبد به ربه، وتوصل به إلى مرضاته ٢٣٧.

٧- التحذير من ازدراء الناس:

عن أبي بصير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال:

إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، وربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته، وربما وافق سخطه معصيته وأنت لا

ص: ٢٠٩

٢٣٦ (١) تفسير نور الثقلين للحويزي: ٣ / ٢٩١.

٢٣٧ (٢) مستدرک الوسائل: ١٧ / ٣١٩ و ١٢ / ٢٠٤، الجواهر السنية للحر العاملي: ٧٧. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٤٢.

تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم ٢٣٨.

٨- مقابلة الإساءة بالإحسان:

عن أبي حمزة الثمالي. قال سمعت علي بن الحسين زين العابدين (ع)، يقول:
ما من خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفا في سبيل الله، وخطة إلى ذي رحم قاطع.
وما من جرعة أحب إلى الله عز وجل من جرعتين: جرعة غيظ ردّها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردّها مؤمن بصبر.
وما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمع في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل ٢٣٩.

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: سمعته يقول:
إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادى مناد: أين أهل الفضل؟ قال يقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان فضلكم؟ فيقولون كنا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمننا، ونعفو عن ظلمنا قال: فيقال لهم ادخلوا الجنة ٢٤٠.

ص: ٢١٠

٩- الدعاء للمؤمنين بظهور الغيب:

عن أبي عبيدة، عن ثوير قال: سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول:
إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهور الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله عز وجل مثلي ما سألت له وأنتي عليك مثلي ما أثبتت عليه ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء، ويدعو عليه قالوا له: بس الأخ أنت لأخيك كف أيها المستر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك وأحمد الله الذي ستر عليك وأعلم أن الله عز وجل أعلم بعبده منك ٢٤١.

١٠- طيب الأخلاق:

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال كان رسول الله (ص) يقول في آخر خطبته:

٢٣٨ (١) الخصال للشيخ الصدوق: ٢٠٩ - ٢١٠.

٢٣٩ (٢) الخصال للصدوق: ٥٠.

٢٤٠ (٣) الكافي: ١٠٧ / ٢.

٢٤١ (١) الكافي: ٥٠٨ / ٢ ووسائل الشيعة: ١١٦٤ / ٤.

طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه ٢٤٢

عن عليّ بن الحسين (ع) قال قال رسول الله (ص):

ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق ٢٤٣.

١١- التزاور والتحابب والتواصل فى الله:

قال الإمام عليّ بن الحسين (ع):

إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا قبل الحساب؟! قالوا نعم. قالوا:

ص: ٢١١

ومن أنتم؟ قالوا: أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنّا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسىء إلينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم يقول: ينادى مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس. فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله فى داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: إنطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم: مثل ذلك. قالوا: وبم جاورتم الله فى داره؟ قالوا كنّا نتزاور فى الله، ونتجالس فى الله، وتبادل فى الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ٢٤٤.

وقال رجل لعلي بن الحسين (ع): إني لأحبك فى الله حباً شديداً، فنكس رأسه، ثم قال:

اللهم إني أعوذ بك ان أحبّ فيك، وأنت لى مبغض، ثم قال أحبّك الذى تحبّنى فيه ٢٤٥.

ص: ٢١٢

مصادر الكتاب

٢٤٢ (٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ١٤ / ٢٩٤ - ٢٩٥.

٢٤٣ (٣) الكافي: ٢ / ٩٩ ح ٢.

٢٤٤ (١) البدايّة والنهائيّة لابن كثير: ٩ / ١٣٣، أعيان الشيعة: ١ / ٦٢٧، كشف الغمّة للاربلّى: ٢ / ٣١٥، شرح إحقاق الحقّ للسيد المرعشى: ٢٨ / ١١٣، بلاغة الإمام عليّ بن الحسين للحائري: ١٧٦.

٢٤٥ (٢) أعيان الشيعة: ١ / ٦٤٤.

مقدمة المجمع ٧

المقدمة / الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية لحياة الإمام زين العابدين (ع) ٩

المعارضة الشيعية: ١٣

المحور السياسي والثقافي في سيرة الإمام زين العابدين (ع): ١٦

١- المحور السياسي في منهج تعامل الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) ١٩

مع حكام بني أمية ١٩

أ- موقف الإمام (ع) من الثورة المسلحة ٢٢

الإمام زين العابدين يقيم أول مجلس عزاء للحسين (ع) عند مدخل المدينة ٢٤

إضطهاد وارث كربلاء ٢٥

موقف الإمام (ع) من ثورة أهل المدينة (الحرّة) ٢٧

ملاحظات على ثورة المدينة ٢٨

الإمام السجّاد (ع) في ظروف الاضطهاد الأموي ٣٢

ب- سياسة المقاطعة والمعارضة لحكام بني أمية ٣٥

مع عبد الملك بن مروان ٣٥

الدعاء على الظالمين ٣٧

التحذير عن التعاون مع الظالمين ٣٨

مع الزهري ٤٠

رسالة الإمام (ع) إلى محمّد بن مسلم الزهري ٤١

حوار مع الزهرى ٤٤

ص: ٢١٤

حوار الإمام مع عباد البصرى ٤٥

٢- المحور التربوى فى إعداد الجماعة الصالحة ٤٧

الحالة السياسيّة والاجتماعيّة فى عهد بنى أمية ٤٩

المواريث النبويّة الثلاثة: ٤٩

الانتكاسة ٥٢

الواقع السياسيّ والدينى الذى عاشه علىّ بن الحسين (ع) ٥٥

بناء الجماعة الصالحة ٥٥

ثقافة الجماعة الصالحة فى تراث زين العابدين (ع) ٥٨

ثقافة الجماعة الصالحة ٦١

١- ثقافة العلاقة بالله ٦٣

باقة من دعاء الأسحار ٦٤

دعاء الاضطراب ٦٧

منازل الاضطراب ٦٧

معنى الاضطراب ٦٧

الانقطاع والاضطراب ٦٩

كيف يلجأ الإنسان إلى الله فى أيام اضطرابه؟ ٧٣

عودة إلى دعاء الاضطراب ٧٤

٢- الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفى وسط الأمة ٧٥

رسالة الحقوق ٧٥

١- مبدأ الحقوق كلها هو الله تعالى ٧٥

٢- موقع المسؤوليّة فى حياة الناس ٧٦

ص: ٢١٥

٣- الحقوق التي تنظم شبكة العلاقات ٧٨

٤- الأبعاد الأربعة للشبكة ٨٠

٥- الحقوق الذاتية ٨١

٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه ٨٣

٧- التبادل في الحقوق ٨٤

رسالة الإمام زين العابدين (ع) في الحقوق ٨٥

تفصيل الحقوق ٨٦

حق الله ٨٦

حق النفس ٨٦

حقوق الأعضاء ٨٧

حقوق الأفعال ٨٧

حقوق الأئمة ٨٨

حقوق الرعية ٨٩

حقوق الرحم ٨٩

الحقوق الثابتة لعامة الناس ٩٠

٣- الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع) ٩٥

نماذج من الثقافة الحركية في كلمات الإمام زين العابدين (ع) ٩٥

١- الدعوة إلى المقاومة والصبر ٩٥

٢- بين الكلام والسكوت ٩٥

٣- حث الشباب على طلب العلم ٩٧

٤- المنهج الصحيح للتقييم ٩٨

ص: ٢١٦

كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم ١٠١

٥- من أين يتلقى المؤمنون الحكمة؟ ١٠٣

ماهى الحكمة؟ ١٠٥

بماذا يكسب الإنسان الحكمة؟ ١٠٨

قيمة الحكمة فى حياة الإنسان ١١٠

القسم الثالث من الحكمة ١١١

٦- الصبر والثبات ١١٢

٤- الثقافة الوعظية ١١٥

خطاب الدعاء والوعظ ١١٥

الخطاب الدعائى - الوعظى المزدوج ١١٦

دعاء كميل نموذجاً ١١٧

دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (ع) ١١٨

نموذج من الخطاب الوعظى لزين العابدين (ع) ١٢٠

نص الخطاب ١٢٠

تأملات حول الخطاب ١٢٤

الغافل غير المغفول عنه ١٢٥

مواقف السؤال ١٢٦

الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت ١٢٨

التحذير من المعاصى ١٣١

السعيد من وعظ بغيره ١٣٣

الركون إلى الدنيا والركون إلى الظالمين ١٣٤

ص: ٢١٧

خطاب وعظى آخر للإمام زين العابدين (ع) ١٣٥

تأملات في خطاب الإمام (ع) ١٣٨

فتنة الطاغوت ١٣٩

فتنة الدنيا ١٤١

التقوى والزهد ١٤١

الركونان للذان يفسدان الناس ١٤٤

الطريقة الصحيحة للرؤية ١٤٩

الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين (ع) ١٥١

كيف تتكون الفتنة ١٥٣

كيف يسلم الناس من الفتنة ١٥٥

الاعتبار بالتاريخ ١٥٧

نقاط ثلاث في كلام الإمام (ع) ١٥٧

المكاشفة والخطاب الذاتي ١٦١

في تراث الإمام زين العابدين (ع) ١٦١

العلاقة الذاتية في القرآن ١٦٢

السجال الذاتي والشهود عن الذات ١٦٥

الغربة عن الذات ١٦٥

الدعوة إلى العودة إلى النفس ١٦٧

معرفة النفس ١٦٧

أقصر السبل إلى معرفة الله ١٦٨

محاسبة النفس ١٦٩

ص: ٢١٨

خطاب المكاشفة الذاتية ١٧٠

الخلوات النافعة ١٧١

أبواب التعامل مع الذات ١٧٣

نص الندبة ١٧٥

الشعر الوعظي ١٨٤

٥- التثقيف بمرجعية أهل البيت (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) ١٨٥

التثقيف بالولاء والبراءة ومرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٨٩

النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) وإمامتهم ١٨٩

المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٩١

الإمام (ع) يدعوا إلى تثبيت مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) ١٩٣

الدعاء السياسي ١٩٥

الشعر السياسي ١٩٧

٦- ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي ٢٠١

الأسس السياسية الثلاثة في ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) ٢٠١

١- مقاطعة الحكام الظلمة ٢٠١

٢- الحضور في وسط الأمة ٢٠٣

٣- بناء الجماعة الصالحة ٢٠٦

التواصل والتكافل الاجتماعي في كلمات الإمام علي بن الحسين (ع) ٢٠٨

١- قضاء حوائج المؤمنين ٢١٠

٢- صلة الرحم ٢١١

٣- شكر الجميل ٢١٢

ص: ٢١٩

٤- قبول الاعتذار من المسيئين ٢١٢

٥- الرفق ٢١٢

٦- الهداية والتثقيف والتعليم ٢١٣

٧- التحذير من ازدراء الناس ٢١٣

٨- مقابلة الإساءة بالإحسان ٢١٤

٩- الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب ٢١٥

١٠- طيب الأخلاق ٢١٥

١١- التراور والتحابب والتواصل في الله ٢١٥

مصادر الكتاب ٢١٧

الفهرس ٢٤٦٢٢٧

ص: ٢٢٠